معاني شعر السجون في الأدب الأندلسي
إلى نهاية عصر الطوائف

يونس هاشم مجيد

الخلاصة

من وحي الأحداث والظروف التي يمر بها الوطن وبما نسمعه ونراه في وسائل الأعلام حول السجون والسجناء انبثقت فكرة البحث فأردنا التعرف على مالأندلس من شعر في هذا الميدان والوقوف على معاني ذلك الشعر .

وعند تصفحنا لمصادر الادب الأندلسي وقفنا على كثير من المقطعات والقصائد الشعرية التي قالها الشعراء في سجونهم ومعتقلاتهم ،عبروا فيها عما يعتلج في نفوسهم من معاني ،وقد تراوحت تلك المعاني بين وصف السجن ووصف الحال فيه ،ومعاناة السجين من القيود والسلاسل والظلام .

وجاءت بعض المعاني لتعبر عن تباريح الشوق الى الاهل ،والاحبة ،الى الحرية والانطلاق من القيود .وتناول بعضها حديث النفس (الذات) ، ففي ظلام الليل وظلام السجن ومن بين القيود والسلاسل ومن وراء القضبان تنطلق النفس وينطلق الفكر يجوبان صفحات الماضي فيسترجعان صوره الجميلة وذكرياته الحبيبة وشخوصه ومواطن اللقاء بين الاحبة يعيشان معها لحظات من السعادة الموهومة منسلخين عن واقعهم وحاضرهم المرير .

وتباينت مواقف الشعراء في السجون ومن اللذين سجنوهم في صورتين أو موقفين ،اتسم الاول بالصلابة والجلد والانفة ،وقد عبر هؤلاء الشعراء عن معاني الصبر والقوة وعزة النفس فلم يتذللوا ولم يتصاغروا .

اما القسم الثاني منهم فقد كان موقفهم ضعيفا متخاذلا وبرزت عند بعضهم معاني افرزتها المعاناة والقلق والحيرة والحرمان نلمح من خلالها الحكمة ومحاولة فلسفة الحياة .

المقدمة

نبعت فكرة هذا البحث من وحي الأحداث والظروف التي يمر بها الوطن ومما تنشره وسائل الإعلام حول السجون والسجناء ولذلك أتجه الفكر إلى البحث والكتابة عن شعر السجون في الأدب الأندلسي، وعند رجوعي إلى المصادر والمراجع أنظر فيها قارئاً وباحثاً لم أقف على بحث منشور أو كتاب مؤلف حول الموضوع إلا ما ذكره د. صلاح خالص في دراسته الأدبية التاريخية عن الشاعر محمد بن عمار الأندلسي إذ تناول حياة الشاعر وشعره بصورة عامة ولم تكن الدراسة مخصصة لشعر إبن عمار الذي قاله عندما كان سجيناً. لذلك استقر الرأي على أن يكون عنوان البحث ((معاني شعر السجون في الأدب الأندلسي إلى نهاية عصر الطوائف)) ثم رأيت بعد ذلك أن ما تجمع لديّ من مادة ومعلومات حول الموضوع قد استفاضت عن حدود البحث لذلك استثنيت شعر المعتمد بن عباد ملك اشبيلية الذي قاله في سجنه بأغمات في شمال أفريقيا فلم أتناوله ضمن بحثي وذلك لسببين:

أولهما:- إن شعره الذي قاله في سجنه بأغمات كان كثيراً يستحق بل يستوجب دراسة خاصة منفصلة، وقد بدأنا بذلك وسنتمه إن شاء الله تعالى بعد بحثنا هذا.

ثانيهما:- لاحظنا في شعر المعتمد معاني كثيرة لم يتناولها بقية الشعراء في الحقبة التي درسناها – وإن شاركهم في بعضها – وهي معاني خاصة بالمعتمد نابعة من ظروف حياته وحياة عائلته وكونه ملكاً شاعراً فارساً عاش حياة مترفة.

وبعد النظر الطويل في النصوص الشعرية حول الموضوع رسمنا خطة متواضعة للبحث تقوم على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرست للمصادر والمراجع. درسنا في التمهيد الأحوال السياسية والاجتماعية للأندلس منذ الفتح إلى نهاية عصر الطوائف وتناولنا في المبحث الأول، وصف الحال في السجن، وصف السجن، ووصف القيود والسلاسل. أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه، حديث النفس (الذات)، والشوق والحنين وعرضنا في المبحث الثالث موقف الشعراء من الذين سجنوهم، وقد تبلور ذلك الموقف في صورتين:

الأولى: موقف أتسم بالصلابة والجلد والأنفة.

الثانية: الموقف المتخاذل الضعيف الذليل.

ولخصنا في الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث. وقد واجهتنا بعض الصعوبات تتمثل أولها: في أن القصائد والمقطوعات الشعرية التي قالها الشعراء في سجونهم تتداخل فيها معاني كثيرة ليس من السهولة تجزئتها أو فصلها إلى معاني خاصة منفردة، ولهذا كان أمر تحديد المعاني وحصرها في عدد من الموضوعات مما لا ينسجم مع البحث الدقيق، واستناداً لذلك، فقد يجتمع أو يتداخل موضوعان (معنيان) أو أكثر ضمن النص الواحد عندما نبحث معنى من المعاني، ولكن سمة المعنى الذي نبحثه هي الغالبة في النص. أما الصعوبة الثانية فتتمثل في عدم وجود بحث سابق يضيء لنا السبيل كي نسير على نهجه ونحذو حذوه، لذلك كانت خطة البحث وتناولنا للموضوع جهداً ذاتياً متواضعاً نرجو ونأمل أننا نجحنا فيه، والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق.

التمهيد

الحالة السياسية والاجتماعية

اضطربت الحياة الاجتماعية في الأندلس بسبب اضطراب الحياة السياسية في حقب كثيرة ومع ذلك فقد نعم المجتمع بحياة مستقرة في حقب طويلة أخرى وذلك عندما أمسك زمام الأمور أمراء وخلفاء أقوياء.

وطبيعة المجتمع الأندلسي تحمل بين طياتها بذور الفرقة والانقسام فإذا نظرنا إلى عناصر هذا المجتمع نلاحظ العرب والبربر والموالي والمولدين وأهل الذمة من نصارى ويهود، والعرب بدورهم ينقسمون إلى قبائل قيسية ويمانية وما كان بينهما من نزاع في عهد الولاة (٩٢ – ١٣٨هـ) كان من أسباب ضعف الحكم العربي[١]. ((على أن العنصرين اللذين كانا يؤلفان الجزء الأكبر من عناصر المجتمع الأندلسي هم المولدون وأهل الذمة من نصارى ويهود... ولما أنتشر الإسلام في البلاد أطلقوا على من أسلم من الأسبان لفظ المسالمة – مفردة مسالم – ثم أطلق على أولاد هؤلاء الذين نشأوا على الدين الإسلامي اسم المولدين واستمرت هذه التسمية حتى نهاية القرن الثالث الهجري حيث أنصهر أهل الأندلس في بوتقة واحدة فتكونت منهم الشخصية الأندلسية...)) [٢].

وبعد وفاة الحكم المستنصر (٣٦٦هـ) تولى إبنه هشام الثاني (٣٦٦ – ٣٩٩ هـ) الحكم من الناحية الرسمية أما من الناحية الحقيقية الفعلية فقد كان الحكم لمحمد بن أبي عامر الذي عمل حاجباً للخلفية وتلقب بالمنصور (٣٦٧ – ٣٩٢هـ) حتى أصبح الحاكم الفعلي بعد فترة وجيزة ثم سار إبناه من بعده على سنته[٣]، ثم أن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر الملقب بالناصر لم يكتف بالحجابة بل طمع بولاية العهد وتم له ذلك فقام عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار سنة ٢٩٩هـ مما تسبب بقتل عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر وصلبه[٤]. فبدأ عصر الفتنة واستمرت نارها إلى سنة ٤٢٢هـ.

((كانت الفتنة البربرية حقيقة يمكن الحدس بوقوعها لدى من كان يرى ببصيرته عوامل الانفصال والتجزئة كامنة تحت سطح الظاهر الموحد الذي سعى المنصور بن أبي عامر ليحتفظ به حين ذهب يكثر من الجنسيات المختلفة في الجيش، وكان انقسام تلك الجنسيات واستقلال الزعماء البارزين في كل منها مرهوناً بزوال الحاكم القدير، ولذلك ما كادت شؤون الدولة بعد المنصور تقع في حوزة حجاب ضعفاء وخليفة مسلوب الإرادة حتى أشرابت الأعناق إلى الفتنة،

وتباينت أهواء العناصر التي لم يدركها التمازج والانصهار وعمت الفوضى بلاد الأندلس... وأنقسم الثغر... إلى ولايات وكان أصحاب تلك الولايات يمثلون العناصر القوية في الجيش أعنى الموالي العامريين والبرابرة وبعض الظاهرين من أبناء العرب)) [٥].

يمتد عصر ملوك الطوائف جيلين من سقوط الخلافة المروانية سنة ٤٢٢ هـ إلى أن قضى يوسف بن تاشفين (ت ٥١٠هـ) على ملوك الطوائف سنة ٤٨٤هـ وملوك الطوائف في الأصل كانوا عند سقوك الخلافة المروانية.. ولاة على مدن مختلفة فاستبدوا بما تحت كان أيديهم ثم أورثوا الحكم عليه أولادهم وأتباعهم... كانت كل دويلة من دويلات الطوائف تتألف من مدينة وما حولها أو من مدينتين وكان ملوكها من عصبيات مختلفة: عرباً وبربراً ومولدين، ثم كانوا متنافسين متخاصمين يغزو بعضهم بعضاً وربما استعان بعضهم بالطاغية (بملك من ملوك النصارى الأسبان) على بعض، ولقد اتخذ ملوك الطوائف جميع مظاهر الدول من التلقب بألقاب الخلافة ومن الحجابة (رئاسة الوزارة) والوزارة ومن أسباب الترف كما كانوا يجمعون في بلاطهم الأدباء والشعراء فيغدقون عليهم الأموال[٦]. وعلى الرغم من أن عصر الطوائف كان يتسم بالتفكك الاجتماعي والضعف السياسي إلا أنه كان عصر زهو حضاري ورقي ثقافي ((وأن أول ما يلفت نظرنا في عصر ملوك الطوائف اضطراب الحياة الاجتماعية بالفتن الداخلية، بالمنازعات بين العرب والبربر وبالاقتتال بين ملوك الطوائف وبالحرب بين المسلمين والنصارى، وفي أثناء ذلك كله كان السكان يخضعون لهجرات إجبارية أو اختيارية، هجرات داخلية بين مدن الأندلس.. وقد تكون الهجرة خارجية فيغادر الأندلسيون مدنهم إلى المغرب، وخصوصاً حين يستولي الإسبان النصارى على المدن الأندلسية. ولقد نشأ في إثناء ذلك كله نفر من المسلمين أنفسهم انتحلوا المغامرة والشطارة تنقلوا بين المدن يسلبون وينهبون وربما قتلوا وخربوا)) [٧].

ويقول د. إحسان عباس: ((وفي هذا الجو المتقلب المتموج برزت شخصية الرجل القلق المغامر الذي يتجول من بلد إلى بلد عارضاً مهارته على من يقدرها حق قدرها، يستوي في هذا مختلف ذوي المهارات المطلوبة من جندي وكاتب وشاعر... ولم يكن اختلاف الدين حاجزاً في مثل هذه الأمور فكان السيد القنبيطور يخدم المصلحة فتارة يحارب من أجل أمير مسلم وتارة من أجل أمير نصراني.. وأنموذج هذه الشخصية من الجانب الإسلامي – في مقابل القمبيطور – شخصية الشاعر إبن عمار فقد نشأ فقيراً محروماً ولكته كان مشرباً بالطموح، انتهازياً ميكافيلياً مستعداً لأن يركب إلى غايته كل واسطة، مؤمناً بالصداقة بمقدار ما تبلغه أهدافه)) [٨].

وقد عاش الشعر في هذه الحقبة مع الحياة السياسية وغدا ظلاً لها فالشعر مثل ((الصراع بين الدولة من جهة وبين الناقمين عليها كما صور الصراع بين الطامحين من الأفراد للإستئثار بالمناصب العليا، وفي كل ذلك عبر الشعر بهذه الأحداث عن آلام السجن، ونجد بين الذين تعرضوا لعقوبة السجن عدداً كبيراً من الشعراء لا لأنهم كانوا دائماً في صفوف المعارضة وإنما لأن الشاعر كان في الوقت نفسه شخصية سياسية يصيبه ما يصيب رجل السياسة عند تقلب الأوضاع واصطدام المطامع المتباينة واضطراب حبال الأهواء من حال إلى حال في فترات متقاربة...)) [٩].

والاعتقال والسجن لم يقتصر على الشعراء من عامة الناس وإنما طال بعض الملوك مثل المعتمد بن عباد، الذي أسرته جيوش المرابطين[١٠] وأرسل مقيداً إلى أغمات في المغرب العربي شمال أفريقيا وكذلك سجن بعض الوزراء مثل، الوزير هاشم بن عبد العزيز[١١] الذي وزر للأمير محمد بن عبد الرحمن (ت ٢٧٣هـ) وعندما ولي بعده إبنه الأمير منذر سجن الوزير هاشم ثم قتله، والوزير الشاعر أبو بكر بن عمار صديق المعتمد بن عباد ملك اشبيلية ووزيره وقد قتله بيده أيضاً وغيرهم.

المبحث الأول

١- وصف الحال في السجن، وصف السجن.

السجن أو المعتقل ذلك المكان الذي عندما نذكره نتذكر معه كل ما تمقته وتتألم منه النفس من ذل وعبودية وظلم وظلام وتعذيب وقيود ثقيلة وما تسببه من آلام، نذكر ضيق المكان وشرار الناس وحثالة المجتمع، نذكر معه القائمين عليه غلاظ القلوب قساة النفوس الذين يتسمون

بالفضاضة وانعدام الرحمة، نذكر معه الأحزان والآلام والدموع والحسرات، وتتعدد الأسباب التي تؤدي بأصحابها إلى السجون والمعتقلات فقد تكون الأسباب سياسية وذلك عندما يتمرد أحد الأشخاص ويشق عصا الطاعة ويخرج على سلطة القانون، أو قد يكون سوء التصرف سبباً في وصول الشخص إلى السجن كما حدث للوزير هاشم بن عبد العزيز (ت ٢٧٣هـ) الذي وزر للأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ – ٢٧٣هـ) الذي ((فوض أمور دولته لهاشم بن عبد العزيز أعظم وزرائه... وكان هاشم تياها معجباً، حقوداً لجوجاً فأفسد الدولة وكان يقدمه على العسر فخرج مرة إلى غرب الأندلس ليقمع ما هناك من الثوار فأساء المسيرة في الحركة والنزول والمعاملة مع الجند فأسلموه وأخذ أسيراً ثم أفتدي بأموال عظيمة. وأنهضه مرة مع ابنه المنذر (٢٧٣ – ٢٧٥هـ) إلى ثغر سرقسطة فأساء الأدب معه حتى احقده وأتلف محبته لما صارت السلطة إليه وولي بعد أبيه فلم تكن له همة أعظم من خداع وزير أبيه هاشم بن عبد العزيز إلى أن وثب عليه وسجنه وأثقله بالحديد وذكره ما أسلفه من ذنوبه الموبقة، ثم أخرجه وأتى به إلى دار عظيمة كان قد شيدها وقصر عليها جميع أمانيه وضرب عنقه فيها)) [١٢].

وله وكتب به إلى الوليد بن غانم[١٣] الوزير في أسره أثناء مخاطبته[١٤]:

فكم غُصَّة بالدمع نَهنَهتُ خوفَ أن ... يُسرُّ بما أُبديه شنآن كاشحُ[١٥]

تحاملتُ عنه ثم نادمتُ في الدجى ... نجومَ الثريا والدموع سوافحُ[١٦]

يقول إنه طالما بكى في سجنه بدموع غزيرة فكانت دموعه تعترض في حلقه فتمنعه من التنفس (يغص بها) لكنه كان يكفكفها خوف أن يراه عدو يبطن عداوته فيفرح لما أصابه، ويضيف أنه كان يتكلف ذلك بمشقة ثم ينصرف في ظلام الليل إلى مناجاة الثريا ودموعه سوافح.

كما كتب هاشم بن عبد العزيز إلى جاريته – واسمها عاج – من سجنه أبيتاً هي[١٧]:

وإني عدائي أن أزورك مُطْبقٌ ... وبابٌ منيعٌ بالحديد مُضَبَّب[١٨]

فأن تعجبي يا عاجُ مما أصابني ... ففي ريب هذا الدهر ما يُتعجَّبُ

وفي النفسِ أشياءٌ أبيتُ بغمَّها ... كأني على جمر الغضى أتقلَّبُ

يخاطب الوزير الأسير جاريته قائلاً لها إن الذي منعه عن زيارتها أنه أصبح سجيناً في سجن ليس كبقية السجون فهو سجن فريد لأنه تحت الأرض وهو ذو باب منيع محكم الإغلاق حيث أنه يقفل بحديدة تدخل من الباب في الجدار ثم يضف قائلاً إن تعجبي يا عاج مما أصابني من أسر ودخول السجن ففي حوادث هذا الدهر ما يدعو إلى العجب. ثم يقول: إن في نفسه أموراً وأشياء كثيرة فاته إنجازها وتحقيقها ولأجلها يبيت محزوناً لا يغمض له جفن وكأنه على جمر وأي جمر إنه جمر الغضى الشديد التوقد الشديد الحرارة.

ومن الشعراء الذين نالوا نصيبهم من السجن الشاعر أبو الأصبغ عيسى بن الحسن من شعراء الدولة العامرية (القرن الرابع الهجري) كان ممن باطن[١٩] عبد الله بن المنصور بن أبي عامر، فلما ضرب أبوه عنقه سجن أبا الأصيغ وفي طول سجنه يقول[٢٠]:

ليتَ شعري كيفَ البلادُ وكيف الـ ... إنسُ والوحشُ والسما والماءُ

طالَ عهدي عن كلِ ذاك، وليلي ... ونهاري في مقلتي سواءُ

ليس حظي من البسيطة إلا ... قدرَ قبر صبيحة أو مساءُ

وإذا ما جنحتُ فيه لأُنس ... أوحشتني بأنسها الأغبياءُ

فالشاعر بعد أن لبث في سجنه بضع سنين وقد أنقطع عما يربطه بالعالم الخارجي وأنقطع عن كل ما يشعره بالحياة وبهجتها أخذ يتساءل ويبدو من تساؤله أنه كان يقبع في سجن تحت الأرض (مطبق) لأنه يسأل عن حال البلاد وأحوال الناس والوحوش ويسأل عن السماء والماء ولو كان يرى السماء والماء لما سأل عنهما ويضيف أن عهده بالحياة وما فيها قد أصبح بعيداً لطول مدة سجنه وهو لا يفرق بين ليل ونهار فهما عنده يتساويان لأنه في سجن تحت الأرض لا يصل إليه نور الشمس ولا ضياؤها وأن نصيبه وحظه من أرض الله الواسعة لا تتعدى مساحته

مساحة القبر، وأنه إذا أراد أن يرفه عن نفسه إذا ما جنحت نحو ذلك وإذا ما أراد أن يأنس بالآخرين فإن ذلك الأنس ينقلب إلى وحشة بسبب سوء أخلاق من هم في السجن.

ومن الشعراء الذين ماتوا في السجن الشاعر عبد الملك بن إدريس الجزيري[٢١] (٣٩٤هـ) قال الفتح بن خاقان يصف الطريقة التي حمل بها إلى المعتقل ويصف معتقله:

((وحمل إلى طرطوشة على القتب فبقي هنالك معتقلاً في برج من أبراجها نائي المنتهى كأنما يناجي السها[٢٢]، وقد بعد ساكنه عن الأنيس، فعد من النجم بمنزلة الجليس تمر الطيور دونه ولا تجوزه، ويرى منه الثرى ولا يكاد يحوزه، فبقي فيه دهراً لا يرتقى إليه راق ولا يُرجى له راق، إلى أن أخرج منه إلى ثراه واستراح مما عراه، فمن بديع ما قاله، قوله يصف المعتقل الذي فيه اعتُقل:

يأوي إليه كُلُّ أعوَر ناعقٍ ... وتهبُّ فيه كلُّ ريح صَرْصَرِ[٢٣]
ويكادُ مَنْ يرقى إليه مَرةً ... من عُمره يشكو انقطاع الأبهرِ)) [٢٤]

فهذا المعتقل في جبل مرتفع شديد الارتفاع كأنه يناجي السها وهذا المكان النائي موحش لا تأوي إليه إلا الغربان الناعقة ولا تهب فيه إلا الريح الشديدة الهبوب الباردة وهي ريح مهلكة قال تعالى يصف هلاك قوم عاد: ((وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)) الحاقه: ٦. ويوشك من يصعد إليه مرة من عمره أن ينقطع أبهره لشدة ما يلاقيه من صعوبة ومشقة وإجهاد في صعوده لإرتفاعه ووعورته.

وله أيضاً في مدة اعتقاله مقطوعة شعرية يصف فيها حاله في معتقلة يقول:

شحطَ المزارُ فلا مزار ونافرت ... عيني الهجوعَ فلا خيالٌ يعترى[٢٥]
أزرى بصبري وهو مشدود القوُى ... وألان عودي وهوة صلب المكسَرِ
وطوي سروري كلَّه وتلذُذي ... بضمير تذكاري وعينِ تذكري
عجباً لقلبي يومَ راعتني النوى ... ودنا وداعٌ كيف لم يتفطَّر

يقول بعد العهد بزيارة الأحبة أو بمكان زيارتهم فلم يعد يزورهم لأن السجن قد حال دون ذلك وأن عينه خاصمت النوم فالنوم بعد عنها ولذلك لم يعد خيال الأحبة يلم به، وأن السجن قد قصر بصبره فأصبح ضعيف الصبر جازعاً بعد أن كان صبوراً وكذلك تطرق الضعف إلى جسمه فآلانه وأنهكه بعد أن كان قوياً صلباً شديداً أما سروره وتلذذه بالحياة وطيباتها فقد ذهبت كلها وطويت كما تطوى الصحيفة، ولم يعد يلقى حبيبه إلا بوهم الخيال وما بقي في ضميره وخياله من ذكريات عن أيامه الخوالي ثم هو يتعجب كيف لم ينفطر قلبه ويتصدع يوم ودع أحبابه وبعد عنهم.

ومن الشعراء الذين لبثوا في السجن سنين طويلة الشاعر الشريف الطليق[٢٦] وهو سليل الأسرة الأموية الحاكمة في الأندلس فسجن وهو إبن ست عشرة سنة ومكث في السجن ست عشرة سنة وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة، كان يهوى جارية رباها أبوه معه وذكرها له ثم أنه استأثر بها فاشتدت غيرت مروان لذلك وانتضى سيفاً وانتهز فرصة في بعض خلوات أبيه معها فقتله فسجن لذلك وقال فيه إبن حزم ((وأبو عبد الملك هذا في بني أمية كإبن المعتز في بني العباس ملاحة شعر وحسن تشبيه)) [٢٧]. وله يصف السجن[٢٨]:

في منزل كالليل أسودَ فاحم ... داجي النواحي مُظلمِ الأثباجِ[٢٩]
يسودُّ والزهراءُ تُشرقُ حولَهُ ... كالحبر أُودع في دواةِ العاجِ[٣٠]

سجن الشريف الطليق في المطبق (وهو سجن في مدينة الزهراء قرب قرطبة).

وهذا السجن مظلم في النهار كما هو في الليل لكونه تحت الأرض ولذلك يصفه الشريف الطليق بأنه كالليل أسود فاحم ويتساوى في ذلك الظلام جوانبه ونواحيه مع (اثباجه) وسطه. ويضيف بأن هذا السجن في الوقت الذي يشتد فيه ظلامه وسواده فإن مدينة الزهراء تشرق حوله تتلألأ أنوارها ثم يصنع من ذلك تشبيها طريفاً فيشبه هذا السجن بظلامه الحالك بالحبر الذي يوضع في دواة مصنوعة من العاج ومما لا شك فيه أنه تشبيه طريف ولذلك لم يعدُ إبن حزم الحق عندما وصفه بملاحة الشعر وحسن التشبيه[٣١].

ومن الشعراء الذين كان في سلوكهم الكثير من الجرأة والاستهتار الشاعر يوسف بن هارن الرمادي[٣٢] (٤٠٣هـ) إذ دفعه ذلك السلوك إلى انتقاد الخليفة الحكم المستنصر فقال:

((يُولِّي ويعزل من يومه   فلا ذا يتمُّ ولا ذا يتمْ

وقد كان من نتائج هذا اللون من الشعر أن سجن الشاعر فألف في سجنه مجموعة شعرية سماها ((كتاب الطير)) ووصف في هذه المجموعة كل طائر معروف وذكر خواصه ثم ذيل كل قطعة بمدح لولي العهد هشام بن الحكم مستشفعاً به إلى أبيه في إطلاق سراحه)) [٣٣].

ومما قاله من شعر في سجنه يصور حاله قوله: [٣٤]

علي كِبري تهمي السَحابُ وتذرف   ومن جزَعي تبكي الحمامُ وتهتفُ
كأن السحاب الواكفات غواسلي   وتلك على فقدي نوائحُ هتَّفُ
ألا ظعنت ليلى وبانَ قطينُها   ولكنني باقٍ فلُومُوا وعنِّفوا
وآنستُ في وجه الصباحِ لبينها   نحولاً كأن الصبحَ مثلي مُدنفُ

وعلق الدكتور أحمد هيكل على هذه المقطوعة بقوله" ((فالسحب تهمي بالمطر لتبرد غليله، والحمائم تبكي لتنوح على جزعه، بل إنه أشبه بميت تغسله السحب الواكفة وتنوح عليه الحمائم الهاتفه، إن صاحبته قد رحلت وبعد ركبها ولكنه هو باق، ومن هنا كان طبيعياً أن تذهب نفسه حسرات وأن يبلغ الحال ما بلغ، فليلم اللائمون إذن وليعنف المعنفون، فهم في الحق متجنون وماذا يضره من هؤلاء وأولئك؟ إن الطبيعة نفسها أحست فراق الحبيبة وتأثرت لبعدها فهذا هو الصبح يراه، الشاعر – من خلال إحساسه الخاص وشعوره بالمأساة ناحلاً شاحب الوجه كأنه هو الأخر محب مدنف فارقه من يحب)) [٣٥].

ومن شعر الرمادي في سجنه قوله[٣٦]:

أعيني إن كانت لدمعك فضلةُ   تُثبِّت صبري ساعةً فتدفقي
فلو ساعدت قالت:أمن قلة الأسى   تبَّقت دموعي، أم من البحر تستقي
وقالت: تظنُ الدهرَ يجمعُ بيننا؟   فقلت لها: من لي بظنّ مُحقَّق
ولكنني فيما زجرتُ بمقلتي   زجرتُ اجتماعَ الشملِ بعد التفرق

فالشاعر يخاطب عينه راجياً أن تمده بما بقي لديها من دمع لعل تلك الدموع تثبته وتطيل مدة صبره ولعلها تخفف من لوعته ووطأة أحزانه، ولكن عينه لو أجابت لكان جوابها استنكاراً لهذا الطلب لأنها لا دموع لديها لأنها لو تبقت لديها فضلة من دمع لكان ذلك دليلاً على عدم الحزن أو أنها تستمدها من البحر ولكن البحر لا يمد العين بالدمع، ثم يتحول إلى سؤال حبيبته إياه: أيظن أن الدهر سيجمع بينهما بعد هذا التفرق؟ فيجيبها بأنه يأمل ذلك لكن ذلك الأمل ليس على وجه اليقين ويضيف إلى ذلك بأنه يتكهن باجتماع الشمل بعد التفرق.

وممن لحقتهم عقوبة السجن الوزير الشاعر إبن زيدون[٣٧] (٤٦٣هـ) الذي عرف بحبه لولادة بنت الخليفة المستكفي (ت ٤١٦هـ) ولحقه من حبها المصائب والويلات منها خصومته مع غريمه في هواها الوزير أبو عامر إبن عبدوس ولم يلبث إبن عبدوس وبعض خصومه أن نسبوا إليه أنه يشترك في مؤامرة على السلطان وتصادف أن أتهم بالاستيلاء على عقار لبعض مواليه بعد وفاته فوضعت في يديه الأغلال وقدم إلى المحاكمة، وكانت بينه وبين القاضي الذي تولى محاكمته موجدة قديمة فلما عرضت عليه قضيته أمر توأ بسجنه وشدد فيه[٣٨].

لكن إبن زيدون نفى وأنكر التهم الموجهة إليه في رسالة وجهها إلى الأديب أبي بكر بن مسلم فقال ((وفي علمك أني سجنت مغالبة بالهوى وهو أخو العمى... وشهد عليّ فلان الناشر أذنيه طمعاً ليأكل بيديه جشعاً)) [٣٩].

ويروي إبن زيدون خبراً له أهميته في بيان وضع السجون والسجناء في زمانه ويوضح سبب فراره من السجن فيقول: ((وكنت أول حبسي بموضع جرت العادة فيه وضع مستوري الناس وذوي الهيئات منهم، وفي الشرخيار، وبعضه أهون من بعض ثم نقلت بعد إلى حيث الجناة المفسدون، واللصوص المقيدون... فلم أستطع صبراً، وعلمت أن العاجز من لا يستبد... فلم

أستجز أن أكون ثالث الأذلين: العير والوتد... وقد قال تعالى على لسان موسى: ((فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ)) الشعراء: ٢١... وأنا الآن بحيث أمنت بعض الأمن...)) [٤٠].

وقد نظم إبن زيدون عدة قصائد تغلب عليها سمة الاستعطاف والحنين والعتاب لكن دون تذلل، ووصف حاله ومعاناته في معقلته منها قصيدة وجهها إلى أبي الحزم جهور (ت ٤٣٥هـ) القائم بأمر قرطبة يقول فيها بعد مطلعها الغزلي: [٤١]

مَنْ يسأل الناسَ عن حالي فشاهدها   محضُ العِيان الذي يُغني عن الخبر
لم تطو بُردَ شبابي كَبْرةٌ وأرى   برق المشيب اعتلى عارض الشعر[٤٢]
قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كَثَبٌ   وللشبيبة غصنٌ غيرُ مُهتَصر[٤٣]
ياللرزايا لقد شافهتُ مَنهلَها   غمراً فما أشربُ المكروه بالغُمَر[٤٤]

يقول إبن زيدون من يريد معرفة حالي وأخباري وذلك بسؤال الناس فإن حالي معلومة ومعروفة وشاهدها أن رؤيتي ومعاينتي تغني السائل عن السؤال ويضيف بأن برق المشيب قد علا رأسه، وأن ذلك الشيب لم يكن بسبب كبر السن وتقدم العمر لأن رأسه اشتعل شيباً قبل الثلاثين من عمره فهو لا يزال في عهد الشباب وأن عهد الصبا لا يزال قريباً كذلك وغصن شبابه مازال غضاً طرياً، ولكن هذا المشيب المبكر جاء بسبب المصائب (الرزايا) التي ورد منهلها الغزير وأنها كثيرة وما ناله منها أكثر وعبر عن كثرتها بقوله أنه لم يشربها بالغمر وهي الكاس الصغير. ولجأ الشاعر إلى الاستعارة للتعبير عن معانيه وخاصة في البيتين الثاني والثالث وإلى الجناس اللطيف في البيت الأخيرين الغَمْر، الغُمَر.

ومن الشعراء الوزراء الذين لقوا حتفهم في السجن بسبب سوء تصرفهم وحصاد ألسنتهم الوزير الشاعر أبو بكر بن عمار (ت ٤٧٧هـ) وكان اعتقاله وسجنه في خبر طويل نوجزه بما يلي:

اتفق أبو بكر بن عمار مع عبد الرحمن بن رشيق[٤٥] على أخذ مدينة مرسية من صاحبها أبو عبد الرحمن بن طاهر[٤٦] (ت ٥٠٧هـ) بأمر المعتمد بن عباد ولما تم لهم ذلك الأمر. دخل إبن عمار مرسية تحيطه مظاهر الأبهة ومعه الهدايا والأموال ليعم بذلك أهل مرسية على قدر منازلهم عنده وجلس في اليوم الثاني لدخوله بلنسية مجلس التهنئة للخواص والعوام فسجعت الشعراء بإمداحه وقد تزيا بزي إبن عباد في حمل الطويلة (القلنسوة) على رأسه... واستعمل إبن عمار خساس عبيده على الحصون وأقطعهم الضياع وأعرض عن النصيح وأقبل على الغبوق والصبوح وإبن رشيق يستبدل أولئك الأوباس ببني إخوته وأخواته، فلما خرجت كل تلك الحصون من يده وسقط في يده فرّ من مرسية إلى جليقية لاحقاً بأذفونش بن فرذلند شاكيا إليه غدر إبن رشيق ولما لم يحصل منه على طائل عدل إلى سرقسطة لخدمة واليها المؤتمن أبي عمر يوسف بن المقتدر بن هود... وأتفق أن انتزى عامل لإبن هود في معقل منيع من أعماله وكانت بينه وبين إبن عمار معرفة فضمن له إبن عمار استنزاله وسار إليه فلما نزل بساحته تشوف ذلك العامل إلى بره ولم ير بأساً في إرقائه إلى قصبة حصنه في رجلين من جملته فأوعز إبن عمار إلى الصاعدين معه ((أن صبا سيفيكما عليه إذا رأيتماني أماشيه ويدي في يده ولو قتلتماني وإياه)) ففعلاً ذلك، وفرّ أصحابه عند قتله وألقوا بأيديهم إلى إبن عمار مستشفعين به إلى المؤتمن فضمن لهم ذلك... وعاد الحصن خاضعاً للمؤتمن فسر بذلك... وكان المؤتمن نفسه يرجو الاستفادة من إبن عمار واستغلال مواهبه لتنفيذ أغراضه لذا ما كاد إبن عمار يقترح على المؤتمن ويتعهد له بإخضاع قلعة شقورة[٤٧] العصماء بأسلوبه الخاص حتى وافقه الملك على ذلك وأرسل معه جيش صغير لتحقيق هذا الغرض، وقعلة شقورة هذه القائمة على قمة جبل وعر بقيت مستقلة بعد أن استلوى المقتدر بن هود على مملكة علي بن مجاهد العامري أمير دانية، وكان يحكمها أحد أبناء علي المسمى سراج الدولة، ثم تولى إدارتها بعده بنو سهيل الذين كانوا يشرفون على تربية أولاده الصغار، وكان بنو سهل يرغبون في بيع القلعة إلى أحد الأمراء المجاورين ولكن إبن عمار وعد المؤتمن بأنه سيحصل عليها بأيسر سبيل، سار إبن عمار إلى الحصن يقود كتيبة صغيرة من الجند وما كاد يصل إلى القلعة الشامخة حتى طلب من بني سهيل أن يأذنوا له بمقابلتهم مصمماً

كما يبدو على أن يستعمل الأسلوب نفسه الذي لجأ إليه في القلعة السابقة ولكن حدث هذه المرة ما لم يكن يتوقعه الشاعر المغامر إذ ما كاد يصل باب الحصن مع تابعيه ويسحب هو أولاً لمداخله المرتفعة حتى ألقى جنود القلعة القبض عليه وأنذروا صاحبيه اللذين فرا هاربين ليعودا بجنود سرقسطة من حيث أتوا بعد أن يئسوا من إنقاذه، فحصل إبن عمار بأيدي بني سهيل الذين ألقوا به في السجن[٤٨].

وقد قال إبن عمار في سجنه هذا شعراً أشار إليه الفتح بن خاقان يقول: ((فمن بديع ذلكم ما طالع به أبا الفضل بن حسداي[٤٩] يصف موضعه المعتقل فيه:

أدرِك أخاكَ ولو بقافيةٍ — كالطَلّ يوقظُ نائمَ الزهرِ[٥٠]
فلقد تقاذفت الركابُ به — في غيرِ موماةٍ ولا بَحرِ[٥١]
طَلَحت صحابتُه بلا سِنَةٍ — وتساقطوا سُكراً بلا خمرِ[٥٢]
بمعارجٍ أدت إلى حَرَجٍ — حتى من الأنواء والقَطْرِ[٥٣]
عالٍ أظَنُّ الجنَّ إذا مَرَدَتْ — جَعَلَتهُ مرقاةً إلى النَّسرِ[٥٤]
وَحشٍ تناكرت الوجوه به — حتى استربْتُ بصفحةِ البدرِ[٥٥]
قَصْرٍ تمهَّد بين خافيَتي — نسْرين من فلكٍ ومن وَكرِ[٥٦]
متحَّيز سالَ الوَقارُ على — عِطفَيه من كِبَرٍ ومن كِبْرِ[٥٧]
مَلكتْ عنانَ الريحِ راحتُهُ — فجيادُها من تحتـهِ تجـري[٥٨]
مأوى العزيزِ وَقد نصحتُ — فإن يُهمَلْ فقد أبليتُ في العُذرِ
ووصلتُ خدمةً قاطعٍ سببي — وأطعتُ أمرَ مُضيَّعٍ أمري
دَعْ ذا وصلنا غيرَ مؤتمرٍ — مُتسأثراً بالحمد والشُكر
وأكتُب ألينا أنها ليدٌ — تمحو الذي كتبت يدُ الدهر)) [٥٩]

ففي الأبيات الثلاثة الأولى يصف الشاعر حياته في هذا المعتقل حياة البؤس والشقاء والعذاب بعيداً عن الصحب فهو يلتمس من صديقه أبي الفضل بن حسداي أن يخفف عنه محنته ولو بمقطوعة شعرية تعيد الأمل إلى نفسه والحياة إلى قلبه كالطل الذي يبعث الحياة في الزهور النائمة فيوقظها ويبعث فيها النشاط، وسبب ذلك أن الركاب قد حملته بعيداً عن الأهل والصحب ولكن هذا البعد لم يكن في صحراء ولا في بحر وإنما حملته إلى هذا المعتقل الذي أصابه وأصاب أصحابه بالإعياء فتساقطوا سكارى من دون خمر، لأن هذا السجن في منطقة جبلية شديدة الارتفاع وهي قلعة شقورة المنيعة التي لا يمكن الوصول إليها إلا بشق الأنفس وذلك لضيق الطريق ووعورته وهو لعلوه وشدة ارتفاعه تتخذه الجن - في تمردها وعتوها – مصعداً إلى كوكب النسر.

ويسترسل في وصف هذا السجن فيلجأ إلى الاستعارة التصريحية فيصفه بـ (وحش) وهو من وحش المكان إذا كان مقفراً خالياً من الناس جالباً للهموم والأحزان وهو لشدة وحشته يتناكر فيه السجناء فيتجاهل بعضهم البعض فليس هناك إلفه أو أنس وإنما هناك رهبة وتوحش وهناك شك يتسرب إلى النفوس يجلعها تشك وترتاب في أكثر الأشياء ألفة ومودة وأنساً وهو القمر.

ويعود إبن عمار إلى وصف هذا السجن بالقصر المستقر المتمكن في مكانه رغم شدة ارتفاع هذا المكان فهو في مكانه يشبه ريش الخوافي التي استرت مرة بين قوادم النسر وأخرى بين الأفلاك كوكب (النسر) وهذا القصر (السجن) قد تمهد وتحيز وتجمع في مكانه وقد علته السكينة وسال عليه القوار لطول عمره وتقدم العهد به ولترفعه وكبريائه.

وهو لفرط علوه فالريح لا تعلوه وإنما تجري من تحته وقد أمسك عنانها فهو يصرفها كما يشاء.

ولا نعتقد أن أحداً ممن وصفوا السجن قد بلغ ما بلغه أبو بكر بن عمار في الإجادة والإحسان في وصفه،

ثم عرض بنو سهيل بيع إبن عمار على رؤساء الأندلس فتثاقلوا جميعاً عن ذلك وخف المعتمد بن عباد إليه فأنفذ نحوهما بكل ما سأله أبنه (يزيد) المسمى (بالراضي) فنزلا على حكمه

وأسلما إبن عمار وقلعة (شقورة) إليه فقدم على الحصن وأنصرف إلى أبيه المعتمد وهو بقرطبة وإبن عمار مقيد بين عدلي تبن على هجن زوامل[٦٠] العسكر وميل به إلى سجن قد أعد له[٦١].

وقد صور إبن عمار حالة عرضه للبيع فقال: [٦٢]

أصبحتُ في السوقِ يُنادى على   رأسي بأنواعٍ من المال

والله لا جارَ على نقدهِ   من ضَمَّني بالثمنِ الغالي

إلا فتىً يبتاعُني ماجدٌ   أخدُمُه مُدَّةَ إمهالـي

أرْبح بها مولاي من صَفْقَةٍ   في سَلْعةٍ من برِّكَ العالي

٢- وصف القيود والسلاسل.

استأثرت القيود والسلاسل ووصفها ووصف أثرها في الجسد باهتمام عدد من الشعراء الذين اعتقلوا وسجنوا فتضاعفت همومهم وأحزانهم وأوجاعهم، فهموم السجن يصاحبها آلام القيود السلاسل يضاف إليها تباريح الشوق وألم الذكريات، والنفس تأمل وترجو وتتطلع إلى المستقبل المجهول وتقارن بين عذابات وأهوال السجن وبين ماضي الأيام أيام الحرية والإنطلاق والتمتع بطيبات الحياة.

وأبو بكر بن عمار من الشعراء السجناء الذين قيدوا بالسلاسل، وكتب وهو في قيوده إلى الرشيد[٦٣] قصيدة عاليه الجودة قال عنها إبن بسام ((وكان قد كتب يومئذ إلى الرشيد بهذا القصيد وهو من قصائد الحرة وقلائده المبرة[٦٤]:

قُلْ لبرق الغَمام مُـطو البريدِ   قاصداً بالسلام قصرَ الرشيد[٦٥]))

فتقلَّب في جوِّهِ كفـؤادي   وتناثر في صَحْنِه كالفريـدِ[٦٦]

وأنجذب في صلاصلِ الرعدِ تحلي   ضجَّتي في سلاسلي وقيودي[٦٧]

والقصيدة طويلة جاءت في تسعة وعشرين بيتاً يمدح فيها الرشيد بن المعتمد ويصف حالة في قيوده في بيتين فقط لأنه كان يسعى إلى إرضاء المأمون عسى أن يكون خلاصة على يديه بأن يكون شفيعه إلى أبيه المعتمد. فبدأ قصيدته مخاطباً برق السحاب الذي يطوي المسافات بسرعة كأنه يستعجل الوصول قصر الرشيد ويطلب إليه أن يتقلب في جوه تقلباً مشابهاً لأضطراب قلبه وتقلبه وأن يتناثر في ساحة قصره كتناثر الدر وأن ينجذب وينشد إلى صوت الرعد المجلجل الصاخب بصورة تماثل وتحاكي صلصلة قيوده وسلاسله، بعد ذلك يبدأ بمدح الرشيد قائلاً:

فجزاكَ الإلهُ من ملكٍ حُرٍّ   بقاءَ التمكينِ والتمهيدِ

ومن هذا يتبين لنا أن إبن عمار بتقديمه وصف حاله بقيوده على مدح الرشيد أنه كان خائفاً مذعوراً قلقاً على مصيره.

ومنهم الكاتب الشاعر أبو بكر بن أبي العلاء[٦٨]، قال عنه إبن سعيد أنه ((كان من الجلة ببلده، وجرت عليه محنة سجن فيها وقيد، فكتب على الحائط بالفحم وقد أيقن بالموت[٦٩]:

ألا دري الصَّيد من قومي الصناديدِ   أني أسيرٌ بدار الهُون مقصـودُ[٧٠]

لا أبسُطُ الخَطوَ إلا ظـلَّ يقبضُهُ   كبلٌ كما التفَّت الحياتُ معقودُ[٧١]

وقد تألَّب أقـوامٌ لسفـكِ دمي   لا يعرف الفضلُ مغناهم ولا الجودُ[٧٢]

يتساءل الشاعر عارضاً حاله هل علم السادة الشجعان من قومه ذوي العزة والأنفة الذين يرفعون رؤوسهم كبراً وترفعاً، هل دروا أنه أسير ذليل في دار الذل والهوان وأن أسريه يسعون لقتله وهو يرسف في قيوده الثقيلة لا يستطيع أن يبسط (يوسع) خطوه لأنه كلما حاول ذلك منعته تلك السلاسل الثقيلة المعقودة بأحكام والتي التفت على رجليه التفاف الحيات، وقد تجمع أسريه وحرض بعضهم البعض على سفك دمه وإنما يفعلون ذلك لأنهم ليسوا من أصحاب الفضل والجود ولا يعرفون الرحمة والعفو.

المبحث الثاني

١- حديث النفس (الذات)

تحدث النفس صاحبها المتواري خلف الجدران والأبواب المحكمة الإغلاق الذي يغشاه الظلام الأتي من كل صوب، الظلام الحقيقي والظلام المعنوي الذي ينبعث في النفس والقلب من كل ما يحيط بالسجين في سجنه، فينطلق الفكر متغلغلاً في أعماق النفس باحثاً في صفحات الماضي متأملاً متفكراً ومتذكراً حياته الماضية ومن فيها من الأهل، والأولاد والأخوة والأصدقاء والمرأة (الأم، الزوجة، الحبيبة) متشوقاً إليهم يستعيد في ذاكرته الأيام الجميلة السعيدة التي أمضاها معهم ممنياً النفس بالخلاص حالماً بالحرية والانطلاق من قيوده وسجنه ولكنه يصحو من تلك الأفكار وذلك الحلم على واقعه المؤلم المحزن واقع السجن وعذابه فيقارن بين ماضيه السعيد وحاضره المحزن فتتمزق النفس بين هذا وذاك.

وقد عبر الشعراء عن كل هذه المعاني في شعرهم الذي قالوه في معتقلاتهم وسجونهم فتحدثوا عن الماضي وذكرياته السعيدة متشوقين إليه ممنين أنفسهم بالخلاص والانفلات من قيودهم.

فمن النصوص المتقدمة التي وقفنا عليها والتي تتناول حديث النفي وما آل إليه صاحبها نص للشاعر الفارس سعيد بن جودي[٧٣] (ت ٢٨٤هـ).

((وله حين أسره عمر بن حفصون رأس الفتنة بالأندلس ومضرم نارها وركن العصبية للعجم والمولدين وذلك قبل إمارة سعيد ورئاسته للعرب:

خليليَّ صبراً راحةُ الحر في الصبرِ ... ولا شيءَ مثلُ الصبر في الكرب للحُرِّ[٧٤]
فكم من أسيرٍ كان في القدِّ مُوثقاً ... فأطلقه الرحمنُ من حَلَق الأسرِ[٧٥]
لئن كنتُ مأخوذاً أسيراً وكنتُما ... فليس على حربٍ ولكن على غدرِ
ولو كنتَ أخشى بعضَ ما قد أصابني ... حَمتني أطرافُ الرُدينيةَ السُمرِ[٧٦]
فقد علم الفتيانُ أني كَمِيُّها ... وفارسُها المقدامُ في ساعةِ الذُعرِ[٧٧]

ومن هذه القصيدة:

بهمَّك ألقى خالقي يوم مَوقفي ... وكربُك أقضى لي من القتل والأسر
وإن لم يكن قبرٌ فأحسن موطئاً ... من القبر للفتيان حَوصَلةُ النسرِ[٧٨]
فيا ظاعناً أبلغ سلامي تحيةً ... إلى والديَّ الهائمينِ لدى ذِكري
وأدَّ إلى عِرسي السلامَ وقُل لها ... عليك تحياتي إلى موقف الحشرِ[٧٩]

اجتمعت محنة الأسر والسجن والوقوع بأيدي الأعداء على الشاعر الفارس ولذلك كانت محنته كبيرة وهمومه وأحزانه عظيمة والغم الذي يملأ قلبه ونفسه مؤلماً فلم يجد في كرتبه هذه إلا الصبر على محنته لأنه لا سبيل له سواه وهو البطل الحر الأبي النفس، ولا ينسى في موقفه هذا رحمة الله سبحانه وتعالى ولطفه وأن الكثير من الأسرى المكبلين بالقيود قد تخلصوا من قيودهم وأسرهم بعناية الرؤوف الرحيم سبحانه، ويضيف أن أسره لم يكن بسبب معركة بينه وبين أعدائه وإنما كان سببه المكيدة والغدر، ولم يكن يخشى الأسر وبعض ما أصابه لأنه لم يتوقعه ولو كان يخشى الأسر كان استعد للأمر ودافع عن نفسه بالرمح الرديني لأنه فارس شجاع وشجاعته معروفة عند فتيان قومه فهو بطلهم وحاميهم عند اشتداد الخطب وفي ساعة الذعر، ثم تتوالى الذكريات وتتأجج العواطف ويتوهج الشوق فتبوح النفس بمكنوها فيكون حديث النفس إلى النفس حديث فيه رقة وعذوبة وعطف يشوبه الألم فيخاطب حبيبة قلبه وسكن نفسه وروحه خطاباً تهفوا إليه نفسها ويطمئن إليه قلبها وتشتاق إليه روحها قائلاً لها أن همومه وأحزانه وآلامه التي قاساها بنأيه عنها سيلقى بها خالقه يوم العرض على الله وستشفع له عند ربه، وأن كربه وحزنه ومعاناته ببعدها عنه أشد وأقسى عليه من القتل والأسر، ثم يتوجه بخطابه إلى ظاعن (مخاطب غير معين،

نكره غير مقصودة) يلتمسه أن يكون رسوله ينقل تحياته وسلامه إلى والديه المتلهفين شوقاً إليه وإلى عرسه (زوجه) سلاماً متتابعاً لا ينقطع إلى يوم القيامة.

وقال بعضهم شعراً يفلسف فيه الحياة شعراً فيه شيء من الحكمة وما ذلك إلا لشدة المعاناة في السجن ولأن الشاعر لا يكاد يصدق ما آل إليه حاله فبعد أن كان سيداً عزيزاً مطاعاً أمراً ناهياً يسعى الجميع لكسب وده ورضاه صار عبداً ذليلاً منهياً ومأموراً كما حصل للوزير الشاعر المصحفي[٨٠]
(ت ٣٧٢هـ) إذ يقول في نكبته وسجنه[٨١]:

تأملتُ صروفَ الحادثاتِ فلم أزل أراها تُوافي عندَ مَقصَدِها الحرَّا[٨٢]
فللّهِ أيامٌ مضت لسبيلها فأنـي لا أنسى لـها أبداً ذِكرا
تجافت بها عنا الحوادثُ برهةً وأبدت لنا منها الطلاقةَ والبشرا[٨٣]
لياليَ لم يدرِ الزمانُ مكانَنَا ولا نظرت منـا حوادثُه شَـزْرَا[٨٤]
وما هذهِ الأيام إلا سحائبٌ على كـلَّ حـالٍ تُمطر الخيرَ والشرا

والسبب الذي دفع المصحفي إلى قول هذه المقطوعة الشعرية ذكره لنا الفتح بن خاقان نقلاً عن محمد بن إسماعيل كاتب المنصور بن أبي عامر قال فيه ((فلم تطل المدة حتى غضب عليه المنصور واعتقله ونقله معه في الغزوات وحمله واتفق أن نزلتُ بجلّيقية[٨٥] إلى جانب خبائه في ليلة نهى المنصور فيها عن وقود النيران ليخفي على العدو أثره ولا ينكشف إليه خبره فرأيت والله عثمان إبنه يَسقُّهُ دقيقاً قد خلطه بماء يقيم أوده ويمسك بسببه رمقه بضعف حال وعدم زاد)) [٨٦].

وتبدو لنا من خلال هذا الخبر قسوة المنصور بن أبي عامر مع أعدائه فهو لم يكتف باعتقال المصحفي وتركه في سجن قرطبة مع بقية السجناء وإنما جعل سجنه متنقلاً معه يصحبه في غزواته إلى أقصى شمال الأندلس رغم مرض الرجل وتقدمه في العمر، لذلك قال المصحفي مقطوعته الشعرية السابقة التي أوحتها له تلك التجربة المريرة بما فيها من قسوة فيقول: تأملت الأيام وأحوالها وتقلباتها فألفيتها توجه سهام غدرها إلى الأحرار من الناس، ثم تعجب للأيام الخوالي التي أغلفه فيها دهره ونسته الأيام وتجافت عنه الأحداث فظهرت له من أيام دهره السالفة الاستبشار والطلاقة والسرور حتى أن الزمان نفسه يجهل مكان الشاعر وأحبته وكأن أحداث دهره نسيته أيضاً، ثم ينظر إلى الأيام وصروفها نظرة فيها الحكمة والاعتبار فيشبهها بالسحب التي تأتي بالخير والشر.

وقال المصحفي أيضاً لما يئس من المنصور بن أبي عامر وصفحه[٨٧]:

لا تأمنَنَّ من الزمانِ تقلباً إن الزمانَ بأهله يتقلَّبُ
ولقد أراني والليوثُ تخافُني فأخافني من بعد ذاكَ الثعلبُ
حَسْبُ الكريم مذلةً ونقيصةً ألاَّ يزالَ إلى لئيم يطلبُ
وإذا أتت أُعجُوبةٌ فأصبر لها فالدهرُ يأتي بعدُ ما هو أعجبٌ

فالشاعر يطلق العنان لأفكاره تجوب آفاق الحياة متأملاً في أحوال الأيام وتقلباتها والزمان وصرفه وما وصل إليه حاله من ذل بعد غز وخوف بعد أمن ويأس بعد تفاؤل فتكونت لديه قناعة بأن على الإنسان إلا يطمئن إلى الزمان ولا يركن إليه لأن الزمان كثير التقلب كثير الغدر ليس له صاحب، ثم يقارن بين حاله بالأمس عندما كان وزيراً ((للحكم المستنصر) وكيف كان مرهوب الجانب تخافه الرجال الشجعان وبين حاله اليوم سجيناً ذليلاً يخاف الثعلب كناية عن المنصور بن أبي عامر الذي كان صنيعة من صنائع الوزير المصحفي، ثم يرجع إلى نفسه مخاطباً إياها فيقول يكفي الكريم ذلاً ومهانة ونقصاً أن يتوجه بالسؤال إلى لئيم يطلب منه العفو. وهو لما لاقاه من عجائب في حياته من تغير حال وسجن وذل وهوان يدعو إلى الصبر لأن الأيام تأتي بما هو أعجب.

وطلب المصحفي العفو من المنصور بن أبي عامر ولكن المنصور ردّ عليه رداً فيه قسوة وإهانة فلما بلغه جواب المنصور قال[٨٨]:

ولي مُدةٌ لابد أبـلُغُها — فإذا انقضت أيامُها مُتُّ
لو قابلتني الأسدُ ضاريةً — والموتُ لم يدنُ لما خِفتُ
فأنظر إليَّ وكن على حَذَرٍ — فبمثل حالِكَ أمس قد كنتُ

يبدو لنا من هذه المقطوعة كأن المصحفي قد ندم على طلبه العفو لأنه تذكر أن لكل أجل كتاب وأن عمره محدود بأجل فإذا ما انقضت أيامه لابد أن يأتيه الموت وما دام أجله بعيداً فأنه لا يخاف الأسد الضارية ثم يخاطب المنصور منبهاً له ولافتاً نظره إلى الاتعاظ بحاله والكون على حذر من تقلبات الأيام وغدرها فيقول له كنت بالأمس مثل حالك وزيراً كبيراً واليوم سجيناً ذليلاً.

((ومما يروي لجعفر المصحفي عند ظهور إبن أبي عامر عليه وانتزاعه ما كان من الحجابة من يديه، وإفضائه به إلى هذه الحال من الهضم والاعتقال:

تندَّمت والمغرور مَنْ تندما — وهل ينفعُ الإنسانَ أن ينتدَّما
غرستُ قضيباً خِلتَهُ عود كرمةٍ — وكنتُ عليه في الحوادثِ قيَّما
أكرَّمه دهري فيزاد خِسّةً — ولو كان من عودِ كريمٍ تكرَّماً)) [٨٩]

فالمصحفي قد ندم ولات ساعة مندم، وذلك بسبب ما آل إليه حاله من سجن وذل وإهانة ندم لأن المنصور بن أبي عامر كان تابعاً له وصنيعة من صنائعه وكان يخدم المصحفي مدبر مملكة هشام المؤيد[٩٠].

ومن الشعراء الذين عبروا عن ذواتهم وباحوا بمكنونات قلوبهم وتحاوروا مع نفوسهم محاولين تبرير مواقفهم التي ألقت بهم في السجن الشاعر عبد الله بن عبد العزيز المرواني[٩١] (ت ٣٩٣هـ). يقول المرواني في قصيدته[٩٢]:

فررتُ فلم يُغنِ الفرارُ ومَنْ يَكُنْ — معَ اللهِ لا يُعجْزهُ في الأرضِ هاربُ
وواللهِ ما كانَ الفِرارُ لحـالةٍ — سِوى حذَرَ الموت الذي أنا راهبُ
ولو أنني وفِّقتُ للرشدِ لم يَكُنْ — ولكنَّ أمرَ اللهِ لابدَ غـالبَ
وقد قادَني جرّا إليـكَ برمتي — كما أجترَّ ميتاً في رَحَى الحربِ سالبُ
وأجمعَ كلُّ الـناسِ أنكَ قاتِلي — ورُبَّت ظنّ رَبُّـهُ فيـهِ كـاذبُ
وما هوَ إلا الإنتـقام فَتشَتِفي — وتـركُكَ منـه واجباً لك واجبُ
وإلا فعفوٌ يرتـضي الله فعله — ويجـزيك منـه فوق ما أنت طالب

وأشار إبن الابار إلى صلابته في محنته فقال: ((وكان جلداً في محنته كثير الدعاء والضراعة... ولما أسلمه برمند[٩٣] ملك الجلالقة مضطراً إلى ثقات المنصور وطيف به كان قدامه من ينادي: ((هذا عبد الله بن عبد العزيز، المفارق لجماعة المسلمين النازع إلى عدوهم، المظاهر له عليهم!)) فكان هو يرد عليه ويقول: ((كذبت، بل نفس خافت ففرت تبغي الأمن من غير شرك ولا ردة)) [٩٤].

يشير المرواني في بيته الأول من قصيدته إلى فراره خوفاً من المنصور بن أبي عامر بعد اتهامه بالمشاركة في المؤامرة ضده لكنه يستدرك بأن ذلك الفرار لم يجد نفعاً لأنه وقع في قبضة المنصور الذي كان مع الله مطبقاً لشرعه ولذلك لم يفلت من يده هارب ولم يعجزه متآمر، ثم يشير إلى أن فراره لم يكن لجرم ارتكبه وإنما كان ذلك بسبب خوفه من الموت الذي يحذره، ويضيف لو أنه وفق للصواب والتصرف الحكيم والرأي السديد لما حصل ذلك الفرار ولكن ما يريده الله لابد واقع، وأن ذلك الأمر (أمر الله) قد قاده وجره إليه بكليته كما يجر السالب ميتاً في ساحة الحرب ليستلبه بعد ذلك ينتقل إلى ما يضنه الآخرون من أن المنصور بعد أن ظفر به لابد قاتله، لكنه يرد على ذلك بأن تلك الظنون قد تكون كاذبة، لأن المنصور قد يعفو عنه ثم تتوجه النفس في حيرتها واضطربها إلى خطاب المنصور فيقول له: أنك أن قتلتني إنما تفعل ذلك لتشفي غليلك وهو واجب عليك ولكن يجب عليك ترك هذا الواجب فأن لم يكن قتلاً فأعف عني عفواً يرضى الله عنك وعنه ويجزيك عن ذلك فوق ما ترجو وتأمل.

والذي نلاحظه على هذا النص الشعري أن الشاعر لم يتحدث عن الاعتقال وذله والسجن وظلامه والقيود وثقلها وآلامها لأن محنته أكبر من كل ذلك فالتهمة الموجهة إليه (المؤامرة ضد الحاكم) تستوجب القتل ولأن المنصور بن أبي عامر قد قتل ولده (عبد الله) الذي أتهم معه الشاعر بالاشتراك في هذه المؤامرة فمن حقه أن يخاف ومن حقه أن يدافع عن نفسه وأن يبرر موقفه وهروبه ولأنه من البيت المرواني الذين سلبهم المنصور حقهم بالخلافة فما أسهل إلصاق هذه التهمة به وما أسرع تصديق الناس لها ثم إن المنصور قد أزاح من طريقه كل الشخصيات السياسية المهمة التي كانت في دولة الحكم بين عبد الرحمن الناصر والتي كانت عقبه في طريقة للوصول إلى السلطة[٩٥].

وللشريف الطليق (ت في حدود ٤٠٠هـ) مقطوعة شعرية قالها في سجنه[٩٦]:

ألا إن دهراً هادماً كل ما نبني   سَيبْلَى كما يُبْلي ويغنى كما يُغنى
وما الفوز في الدنيا هو الفوز إنما   يفوزُ الفتى فيها مع الغَبْنِ
يُجازَى ببؤسٍ عن لذيذِ نعيمها   ويجني الردَى مما غدتْ كفُّه تجني
ولاشكَ أن الحَزْنَ يجري لغاية   ولكن نفس المرء سيئة الظن

فالطليق ينظر إلى الحياة نظرة نابعة من التفكير العميق والتأمل في صروف الدهر وتقلبات الأيام نظرة نابعة من عمق التجرية التي أفرزتها قسوة الأيام وشدة المعاناة في سجنه فقد سجن في مرحلة الشباب المبكرة حيث كان عمره ستة عشر عاماً وهو سليل الأسرة الأموية الحاكمة فانتقل من حياة العز والحرية والانطلاق حياة النعيم والسعادة إلى حياة الذل والحرمان والبؤس والشقاء تحولت حياته من حياة القصور إلى حياة القبور فكان لابد أن يفيض شعره بالحزن والألم والمرارة، ولابد أن يكون ذلك الحزن والهموم بقدر ذلك التحول في حياته.

٢- الشوق والحنين:

وللشوق نصيب وافر من قصائد الشعر التي عبروا بها عن ضمائرهم ولواعج نفوسهم فكانت تلك الأشواق صدى الذكريات الباقية التي تشدهم إلى الماضي الجميل إلى الأهل إلى الأبناء والأخوة والأحبة والأصدقاء.... الخ.

فمن الشعراء الذين تشوقوا وحنوا إلى أحبتهم الشاعر محمد بن مسعود البجاني[٩٧] (ت ٣٧٩هـ) فله وهو سجين أبيات يتشوق فيها إلى شخص حبيب إلى قلبه غائب عنه فيقول[٩٨]:

يحنُّ عندَ مقاساةِ البلاء به   قلبي إليكَ حنينَ الهيم والنِّيب[٩٩]
ولو توسَّد أَطباقَ الثرى جسدي   ناداك قلبي بترجيعٍ وتثويبِ[١٠٠]

يحن الشاعر ويتشوق إلى من يحبه وذلك عند مكابدة ومعاناة المصائب والنوازل في سجنه كما تحن وتشتاق الأبل المسنة إلى الماء حينما تشارف على الهلاك ويكاد يقتلها الظمأ في لهيب الصحراء. وهذا الشوق والحنين ملازم له لا ينفك عنه حتى لو فارق الحياة وتوسد الثرى في قبره فأن قلبه المعنى يستمر في حنينه ومناداته كما يفعل المؤذن عند ترديد وترجيع صوته بالتثويب.

وقال الشاعر عبد الملك بن أدريس الجزيري (ت ٣٩٤هـ) وهو سجين يتشوق إلى ابنه الأصغر[١٠١]:

ألوى بعزم تجلّدي وتصبّري   نأي الأحبةِ واعتيادُ تذكُّري[١٠٢]
شَحَطَ المزارُ فلا مَزارَ ونافرت   عيني الهجوعَ فلا خيالٌ يعتري[١٠٣]
أزري بصبري وهو مشدود القُوى وألانَ عُودي وهو صلب المكَسر[١٠٤]
وطوى سروري كلَّه وتلذُّذي   بالعيشِ طيَّ صَحيفةٍ لم تُنشَر
هلاّ بما ألقَى الحبيبَ توهُماً   بضميرِ تذكاري وعين تفكُّري[١٠٥]
وإذا الفتى فقدَ الشبابَ سمالهُ   حبُّ البنينَ ولا كَحُبِّ الأصغر[١٠٦]
عجباً لقلبي يومَ راعتنا النوى   وَدَنا فراقُكَ كيفَ لم يَتفَطَّر[١٠٧]
ما خلتَني أبقى خِلافَكَ ساعةً   لولا السكُونُ إلى أخيكَ الأكبرِ

إنسانُ عيني إن نظرتُ وساعدي   مهما بَطشْتُ وصَاحبي المُستوزرِ[١٠٨]
فإذا شَكوتُ إليه شكوى راحةٍ   ذكرتـه فشكا إلـىّ بـأكثرِ
أرْبَى عليّ فــحظةُ مما بناحظُّ المعُلىَّ من قِداحِ الميْسرِ[١٠٩]

في ظلمة السجن ينطلق الفكر وتنطلق النفس يبحثان ويجولان في صفحات الماضي فيسترجعان صوره الجميلة وذكرياته الحبيبة وأشكاله وشخوصه وأماكنه يعيشان معها لحظات من السعادة الموهومة منسلخين عن حاضرهم وواقعهم المرير فتقفز إلى الذاكرة أكثر الصور أثراً في النفس، صور الحبيبة، الزوجة، الأبناء، الأخوة، الأصدقاء فيكون لتلك الصور وتلك الذكريات أثرها ووقعها في نفس الشاعر وعزيمته وصبره وقوة احتماله فتنال منها وتوهنها كما نلمح ذلك عند الشاعر الجزيري الذي يخبرنا بأن ما أمال صبره وعزمه وصلاصبته وذهب بهما هو بعد الأحبة عنه وتذكره لهم وأن ذلك البعد جعل النوم يخاصم عينيه فهو لا ينام ولم يعد يرى طيف الأحبة الذي نأى عنه وأن ذلك البعد قد طوى سروره وسعادته وتلذذه بالحياة والعيش كل ذلك ذهب وطوى كما تطوى الصحيفة ثم ينتقل إلى الحديث عن تولي الشباب وتقدمه في السن وأن ذلك الأمر مدعاة إلى حب الأبناء والتعلق بهم وأكثر ما يكون ذلك الحب للإبن الأصغر، وهو يعجب لقلبه كيف تماسك ولم يتصدع يوم فراقه لابنه الأصغر، وكان يظن أنه لا يستطيع الصبر لساعة واحدة والذي خفف مصابه ومحنته سكونه إلى إبنه الأكبر ثم يبين مقدار حبه لأبنه فهو عينه التي يبصر بها ويده التي يبطش بها وهو صاحبه ووزيره وهو كنفه وملاذه الذي يأوي إليه ويشكو إليه مصائبه فيجد الراحة بذلك ثم يبين لنا إن نصيبه ((نصيب ولده الأصغر)) بما يسببه من الهموم والأحزاب والآلام أكثر من كل ما تسببه له الأمور الأخرى وأن ذلك النصيب بقدر نصيب (المعلى) من سهام الميسر، والمعروف أن (المعلى) أكثر السهام نصيباً.

ومن الشعراء الذين عبروا عن شوقهم ممزوجاً بالحزن العميق والمعاناة الموجعة الشاعر يوسف بن هارون الرمادي[١١٠] (ت ٤٠٣ هـ) الذي يقول[١١١]:

تُكلِّفني أن أُعتب الدهر أنها   لجاهلة مَنْ لي بأعتاب مُحنق
وقالت: تُظنُّ الدهَر يجمعُ بيننَا   فقُلتُ لها: مَنْ لي بظنّ محقَّق
ولكنني فيما زجرتُ بمقلة   زجرتُ اجتماعَ الشملِ بعد التفرّقُ
فقد كانت الأشعارُ في مثل بُعدنا   فلما التقت بالطيفِ قالت سَنلْتَقي
أباكيةً يوماً ولم يأتِ وقتُه   سينفدُ قبلَ اليومِ دمعُكِ فارفقي

تكلم د. إحسان عباس عن طريقة الرمادي الشعرية وأثر السجن في شعره فقال:

((ومع ذلك فإن السجن كان من أقوى الدوافع التي كادت أن تحطم عليه طريقته الشعرية التي قامت على المجانة واللهو في الموضوع وعلى الإغراق والإحالة في تعقب الصور والمعاني، وانطلقت أشعاره في السجن من خلجات الحزن العميق ودوافعه ورده وضعه إلى شيء من التأمل في نفسه وفي نهايته وملأ أبياته بالبكاء حيناً وبالتشوق إلى الانطلاق حيناً آخر، وخلت العاطفة الجياشة في شعره محل التصنيع الذهني ومن أمثله ذلك قوله: وقالت تظن الدهر يجمع بيننا...)) [١١٢].

وكذلك قوله[١١٣]:

نُسائلُها هلاّ كفاك نُحولُه   ونَصَبتُه أو دَمعُهُ وهُمولُه[١١٤]
تكنفَهُ همّان شجوٌ وصبوةٌ   فبُلِّغ واشيه المُنى وعذُولُه[١١٥]
فإن تَستَبن في وجهه هَمَّ سِجْنهِ   فقد غابَ في الأحشاءِ عنكَ دَخيلُة[١١٦]
مُعنّى بكتمان الحبيبِ وحُبِّه   فإن يقُتل الكِتمانُ فهو قتيلُه

يتساءل الشاعر موجهاً كلامه إلى فتاة وتساؤله فيه لوم وشدة لأنه استخدم الادة (هلاّ) مستوضحاً منها ألا يكفيك نحوله وهزاله وتعبه وانسكاب دموعه بسبب فراق الحبيبة وشوقاً إليها، في الوقت الذي أحاطته الهموم هموم الحزن والشوق لفراقها وهذه الحالة مدعاة لأن ينال الوشاة واللائمون ما يتمنوه من سوء حال الشاعر. ويضيف إن ظهر وبان وأتضح في وجهه هم السجن

وأحزانه وأوجاعه فقد غابت وخفيت هموم وأحزان أخرى في قلبه ومكنون نفسه وهو متعب ومرهق بكتمان حبه فأن يقتل كتمان الحب شخصاً فهو ذلك القتيل.

وله في سجنه مقطوعة أخرى تفيض حزناً وألماً وشوقاً يقول فيها[١١٧]:

على كِبري تهمي السحابُ وتذرف ۞ومن جزعي تبكي الحمامُ وتهتفُ[١١٨]

كأن السحابَ الواكفاتِ غواسلي وتلك على فقدي نوائح هُتَّفُ[١١٩]

ألا ظعنت ليلى وبانَ قطينُها ولكنني باقٍ فلوموا وعنِّفوا[١٢٠]

وآنستً في وجه الصباح لبينها نحولاً كأن الصُبحَ مِثْلي مُدْنفُ[١٢١]

وأقربُ عَهدٍ رشفةٌ بلّت الحشا فعاد شتاءً بارداً وهو صَيَّفُ[١٢٢]

وكانت على خوفٍ فولَّت كأنها من الرِدفِ في قيدِ الخلاخل ترسفُ

فالشاعر يشكو نار الشوق وغليلها التي أحرقت كبده وكأن السحب تسكب دموعها وتذرفها كي تبرد كبده وتخفف حرارتها، وكأن الحمام تبكي كي تشاركه مصابه لأنه فقد صبره ونظر إلى وجه الصباح فرآه ناحلاً شاحباً فكأن ما أصاب الشاعر من أوصاب الحب قد أصابه فهو دنف مثله ثم يضيف أن أخر عهده بحبيبته حين قبلها ورشف رشفة من رضابها ذهبت بحرارة قلبه فعاد شتاء بارداً بعد أن كان صيفاً قائضاً.

المبحث الثالث

موقف الشعراء من الذين سجنوهم

تباينت مواقف الشعراء من الذين سجنوهم فمنهم وقف موقفاً فيه الصلابة والجلد والأنفة والكبرياء فلم يطأطئ رأسه ولم يتذلل ويتصاغر ولم يطلب العفو بل كان موقفه مشرفاً دافع عن نفسه وبرر موقفه الذي أدى به إلى السجن وهؤلاء هم أصحاب النفوس الأبية والأرومة الأصيلة والشخصيات القوية.

أما القسم الثاني منهم فقد كان موقفهم متخاذلاً ضعيفاً ذليلاً لمن سجنهم فهانت عليهم نفوسهم وأحسابهم وتصاغروا وطأطؤا رؤوسهم والتمسوا العفو بل طالبو بذلك والحفوا بطلبهم واستشفعوا بكل من ظنوا أنه قادر على نفعهم وخلاصهم فدلوا بذلك عن ضعتهم وضحالتهم وضألة شخصياتهم وأنهم ليسوا من ذوي الأعراق الكريمة والنفوس الأبية.

وكان من أشد الناس ضعفاً وخوراً عندما سجن الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي الذي مات في سجنه سنة (٣٧١هـ) إذ سجنه المنصور بن أبي عامر فأذله، وأظهر من التذلل والمهانة ما لم يظهره شخص أخر في مثل موقعه كحاجب (وزير) وذلك كقوله مخاطباً إبن أبي عامر[١٢٣]:

عفا الله عنك ألا رحمةٌ تجودُ بعفوكَ إن أبعَدا

لئن جَلَّ ذنبٌ ولم أعتمدهُ فأنت أجل وأعلى يدا

ألم تر عبداً عدا طوره ومولىً عفا ورشيداً هدى

أقلْني أقالك مَنْ لم يَزَلْ يقيكَ ويصرِفُ عنكَ الرَدى

والأبيات واضحة المعنى أبدى المصحفي من خلالها ذله وضعفه وتصاغره طالباً الرحمة والعفو من المنصور بن أبي عامر ونستطيع أن نعرف مقدار الذل والمهانة والخنوع التي ألحقها الحاجب المصحفي بنفسه إذا اطلعنا على حاله وعظمه موكبه حينما كان حاجباً (وزيراً) للخليفة الحكم المستنصر ولأبنه هشام المؤيد من بعده وحينها كان المنصور بن أبي عامر أحد أتباعه والذين يأتمرون بأمره ثم انقلبت الحال إذ استطاع إبن أبي عامر بذكائه وشجاعته ومكره وسعة حيلته ودهائه أن يجرد الحاجب المصحفي من جميع سلطاته ثم قام بسجنه ويتبين ذلك مما ينقله الفتح بن خاقان مبيناً عظمة موكبه إذ يقول: ((قال محمد بن إسماعيل كانت المنصور.. وقفت له في طريقه من قصره أيام نهيه وأمره أروم أن أناوله قصة كانت به مختصة، فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة لكثافة موكبه، وكثرة من حف به، وأخذ الناس السكك عليه، وأفواه الطرق داعين وجارين بين يديه ساعين، حتى ناولت قصتي بعض كتابه الذين نصبهم جناحي موكبه لأخذ القصص...)) [١٢٤].

ويذكر لنا المقري مقطوعة شعرية للحاجب المصحفي أبدى فيها إذعانه وندمه طالباً الصفح والرحمة من إبن أبي عامر وأن يرثي لحاله لأنه شيخ كبير في خبر ينقله عن كتاب ((روضة الأزهار)) فيقول: ((قال صاحب كتاب (رضوضة الأزهار وبهجة النفوس ونزهة الأبصار) ولما أمر المنصور بن أبي عامر بسجن المصحفي بالمطبق في الزهراء ودع أهله وودعوه وداع الفرقة وقال لهم: لستم ترونني بعدها حياً فقد أتى وقت إجابة الدعوة، وما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة، وذلك أني أشركت في سجن رجل في عهد الناصر، وما أطلقته إلا برؤيا رأيتها بأن قيل لي: أطلق فلاناً فقد أجيبت فيك دعوته، فأطلقته وأحضرته وسألته عن دعوته عليّ، فقال: دعوت على من شارك في أمري أن يميته الله في أضيق السجون، فقلت أنها قد أجيبت، فأني كنت ممن شارك في أمره، وندمت حين لا ينفع الندم، فيروى أنه كتب للمنصور بن أي عامر بهذه الأبيات:

هبني أسأتُ فأين العَفْو والكرم | إذْ قادني نحوَكَ الإذعانُ والندمُ
يا خيرَ مَنْ مُدَّت الأيدي إليه أما | ترثي لشيخ نعاهُ عندك القلمُ
بالغتَ في السُّخط فاصْفَح صفح مُقتَدر | إن الملوك إذا ما استُرحموا رَحموا

فأجابه المنصوب بأبيات لعبد الملك الجزيري[١٢٥]:

يا جاهلاً بعدما زلَّت بك القدمُ | تبغي التكرمَ بعـدما فاتكَ الكرمُ
ندِمتَ إذْ لم تَعُد مني بطائلةٍ | وقلَّما ينفـعُ الإذعانُ والندمُ
نفسي إذا جَمَحَت ليست براجعةٍ | ولو تشفَّع فيكَ العُرب والعجُم)) [١٢٦].

ويتضح لنا من خلال رد المنصور بن أبي عامر هذا على أبيات المصحفي مدى صلابته وقوسته، وهي قسوة وعقوبة ساقها الله سبحانه على يديه لمعاقبة المصحفي جزاء لما سبق أن ارتكبه من جرائم بحق ناس أبرياء، فمثلاً بعد موت الخليفة المستنصر الذي عهد بالخلافة لابنه هشام المؤيد الذي كان صبياً نرى أن المصحفي قد أمر المنصور بن أبي عامر بقتل المغيرة أخو الحكم المستنصر كي لا يطالب بالخلافة فقتله خنقاً[١٢٧].

ومن الشعراء الذين طلبوا العفو والصفح الشاعر عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت ٣٩٣هـ) ((وله يستشفع بالمظفر عبد الملك إلى أبيه المنصور:

ألا أيها الحاجبُ المرتجى | وأكرمُ مَنْ كان أو مَنْ يكون
دعوُتك دعوةَ مُستصْرِخٍ | أحاطت به وأثختنهُ المنون[١٢٨]
فإن لم تُغثني فمَنْ ذا الذي | يَلوذُ به الخائفُ المستكين؟
جمعتَ التُقى والعُلى والنُهى | فمال مذال وعِرضٌ مَصون[١٢٩]
وتفريج غمَّاءَ عن حَائنٍ | يعودُ بك الحي وهوَ الدفين[١٣٠]
فقل: لي لعاً من عثار له | أناديكَ والموتُ لي مُستَبين[١٣١]
وإن جلَّ ذنبي فأنتَ الجليل | وهل لكَ فيمَنْ عليها قرين[١٣٢]

ومن خبره أنه أقام مسجوناً إلى أن مات المنصور وولي إبنه المظفر عبد الملك حجابة هشام فأطلقه واستحله لأبيه وخلع عليه...)) [١٣٣].

فالشاعر في المقطوعة السابقة يلتمس العفو من المنصور بن أبي عامر مستشفاً بأبنه ولكنه لم يتذلل تذللا مشينا بل ((كان جلداً في محنته كثير الدعاء والضراعة)) [١٣٤] فهو يدعوه دعوة مستغيث أحاطت به المنية مخاطباً إياه قائلاً إن لم تغثني وتنتشلني مما أنا فيه فمن ذا الذي يحتمي به المذعور، ثم يحاول إثارة نخوته وحميته بإسباغ الصفات النبيلة على شخصه من تقوى وعقل راجح وكرم وشرف رفيع وإغاثة المكروب الذي يوشك أن يهلك فتعود إليه الحياة بالعفو عنه، ثم يستدرك قائلاً أن كان ذنبه عظيماً لا يمكن التغاطي عنه فأن الممدوح أعظم وإرفع من ذلك لأنه ليس له مثيل على البسيطة.

ومن شعراء الدولة العامرية الذين طالهم السجن الشاعر قاسم بن محمد القرشي المعروف بالشبانسي[١٣٥] (ت ٣٩٦هـ). كتب إلى المنصور بن أبي عامر بقصيدة طويلة يستعطفه فيها ويسأله التثبت في أمره وحقن دمه يقوله فيها[١٣٦]:

يا مَنْ بُرحماهُ اشتغثتُ وحنَّ لي   منه الغياثُ علاك استُر عليَّ دمي
لا أبتغي فيه سوى سَنَن الهدى   غرضاً وأقضيةِ الكتابِ المحُكَم[١٣٧]
وتثبُّت المنصور مولانا وسيدنا   الموفَّق في القضاءِ الملهمِ
ليمُوت أَو يحيى بعدلِ قضائهِ   فيرى اليقينَ عِيانَ من لم يَعلم
ناشدتُكَ اللهَ العظيمَ وحقَّهِ   في عبدِكَ المتوسَّل المُترحَّم
بمسائل المدح المُعاد نشيدها   في كل مَجمَع موكبٍ أو مَوسِمِ
لا تَسْتَبِح منه حمى أرْعاكَه   يا مَنْ يرى في اللهِ أحمى مُحتَم[١٣٨]

فالشبانسي يستغيث بالمنصور بن أبي عامر ويسأله الرحمة وأن يحفظ عليه دمه ويضيف أنه لا يبتغي في ذلك إلا الحق وطرق الهدى والرشاد وما جاء في القرآن الكريم من أحكام عادلة وينشاده التثبت في أمره والتريث ولا يتعجل الحكم وهو الرجل الرشيد الموفق في قضائه وكأنه يلهم الأحكام العادلة فيه وكأنه يشير في ذلك إلى قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)) الحجرات: ٦.

ثم يناشده الله العظيم وعظيم حقه عليه أن يرحمه لأنه شاعره وتابعه وعبده الذي طالما مدحه في المواكب الحافلة والمواسم ويطلب منه إلا يستبيح حماه الذي يدافع عنه ويرعاه.

أما الشاعر أبو مروان عبد الملك بن غضن[١٣٩] (ت ٤٥٤هـ) فقد هجا إبن ذي النون[١٤٠] بقوله:

((تلَقَّبت بالمأمونِ ظلماً وإنني   لآمنَ كلباً حيثُ لستُ مؤمَّنَهُ
فلما تمكن منه المأمون سجنه فكتب إلى إبن هود[١٤١] من أبيات:
أيا رَاكبَ الوجناءِ بلِّغ تحيةً   أَميرَ جُذام من أسيرٍ مُقيَّدِ[١٤٢]
ولما دَهتني الحادثاتُ ولم أجد   لها وَزَراً أقبلتَ نَحوك أعتَدِي[١٤٣]
ومثْلُكَ مَنْ يعدِي على كلِّ حادثٍ   رمى بسهامٍ للردى لم ترُصَدِ[١٤٤]
فعلَّكَ أن تخلو بفكرِكَ ساعةً   لتُنقذَني من طُولِ همٍّ مُجدَّد
وها أنا في بَطن الثَّرى وهو حَاملٌ   فيسَّر على رُقبى الشفاعةِ مولِدي[١٤٥]
حَنانيَك ألفاً بعد ألفٍ فإننَي   جَعلتُكَ بعدَ اللهِ أعظمَ مَقْصَدي[١٤٦]
وأنتَ الذي يَدري إذا رَامَ حاجةً   تضلُّ بها الآراءُ من حيثُ تَهتَدِي
فرق له إبن هود وتحيل حتى خلصه بشفاعته...))[١٤٧].

فالشاعر إبن غصن يستغيث بإبن هود ملك سرقسطة يستشفع به كي يخلصه من سجنه عند إبن ذي النون وهو في أثناء قصيدته يسبغ على إبن هود الكثير من الصفات النبيلة ويرفع من شأنه فهو أمير جذام وهو الملجأ الذي احتمى بكنفه حين لم يجد غيره حامياً وهو الذي يعين المظلوم على من ظلمه، ثم يصف حاله وأنه في بطن الثرى (السجن) وهو لا يعرف بم يتمخض هذا الثرى (الحامل) فيرجوه أن تكون ولادته على يديه بأن يستشفع له ويخرجه من سجنه، ثم هو يطلب رحمته (حنانيك) ويكثر من ذلك ((ألفاً بعد ألف)) لأنه قصده بعد الله سبحانه وتعالى يطلب معونته وإنقاذه. ويكرر الثناء عليه مرة أخرى بأنه صاحب رأي سديد يهتدي إلى الصواب في الوقت الذي تضل فيه آراء الآخرين.

ومن الشعراء الذين أتسم موقفهم بالصلابة والجلد والكبرياء ولم يتذللوا تذللاً مشيناً، وإن التمسوا العفو لكن التماسهم كان بعزة وكبرياء والتمسوه ممن كان صاحبهم وصديقهم، الشاعر إبن زيدون أحمد بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ) فقد سجن هذا الشاعر بتهم ملفقة وادعاءات باطلة وقد أشار إبن زيدون إلى ذلك في رقعه خاطب بها إبن جهور[١٤٨] من موضع اعتقاله جاء في بعض فقراتها ((فكيف ولا ذنب إلا نميمة أهداها كاشح ونبأ جاء به فاسق؟ والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انحرفت عنك بعد الصاغية...))[١٤٩].

ولإبن زيدون قصيدة فريدة خاطب بها إبن جهور وهو في تلك الحال من الاعتقال يقول فيها(١٥٠):

ألم يأنِ أن يبكى الغمامُ على مِثلي ويَطلبُ ثأري البرقُ مُنصلت النَّصلِ(١٥١)
وهلاَّ أقامَت أنجمُ الليلِ مَأتماً لتندُبَ في الآفاق ما ضاعَ من نُبلِي(١٥٢)
فلو أنصَفَتني وَهي أَشكالُ هِمَّتي لألقَت بأيدِي الذلِ لما رأت ذُلي(١٥٣)
ولا فْتَرقَت سَبعُ الثُريَّا وغاظَها بمَجْمَعها ما فرَّقَ الدهرُ من شَملي
لَعمُر اللَّيالي إن يكُن طَالَ نَزْعُها لقد قَرطَسَتْ بالنَبل في مَقْتل النُبل(١٥٤)
أُخَصُّ لفَهْمِي بالقِلَي وكأنَّما يَبيْتُ لِذِي الفَهْم الزَمَانُ على ذَحْلِ(١٥٥)
وأجفي على نظمي لكلِّ قلادة مفصلة السمطين بالمنطق الفصل(١٥٦)
ولو أني أسطيعَ – كي أُرضي العدا -شَريتً ببعضِ العلمِ حظاً من الجَهْل
أمقتولةَ الأجفانِ مالَكِ والهاً ألم تُرِكِ الأيام نجماً هوى قبلي؟
وفي أمَّ موسى عِبرةٌ إذْ رَمَت به إلى اليَمَّ في التَابُوتِ فاعتبري واسلي
وللهِ فينا علمُ غَيبٍ وحَسْبُنا بهِ عندَ جَور الدهرِ من حكمٍ عَدلِ
وإنَّ رَجَائي في الهُمَام إبنِ جَهورٍ لمسْتحكم الأسبابِ مُستَحصد الحبلِ(١٥٧)
كريمٌ عريقٌ في الكِرام وقلَّما يُرى الفرعُ إلا مُستَمَداً من الأصلِ
أبا الحزم إني في عِتابِكَ مائِلٌ على جانبٍ تأوي إليهِ العُلا سَهلِ(١٥٨)
حَمائِمُ شُكري صبَّحتَكَ هوادلاً تُناديكَ من أفنان آدابي الهُدل(١٥٩)
جَوادٌ إذا استَنَّ الجيادُ إلى مدى تمطَّر فاستولى على أمدَ الخَصْل(١٦٠)
ثَوى صَافِناً في مربط الهُونِ يَشْتَكِي بتصهَاله ما نَالهُ من أذى الشَّكل(١٦١)
أإن زَعَمَ الواشُون ما ليسَ مَزْعَمَا تُعذِّرُ في نَصري وتُعذَرُ في خَذْلي؟(١٦٢)
ولم استَتِر حَربَ الفجار ولم أطع مُسَيْلَمة إذْ قالَ إني من الرُسل(١٦٣)
وإني لتنهَاني نُهاي عنِ التي أشارَ بها الواشي ويَعقِلُني عَقلي(١٦٤)
أأنقضُ فيكَ المدحَ من بعد قُوَّةٍ فلا أقتَدي إلا بناقِضةِ الغَزْل؟(١٦٥)
هي النَعلُ زَلَّت بي فَهل أنتَ مكذَّبٌ لقيلِ الأعادي إنها زَلَةُ الحِسلِ(١٦٦)
ألا أن ظَني بين فعليكَ واقفٌ وُقُوفَ الهوى بين القطِيعةِ والوَصْلِ
وإلا جنيتُ الأنسَ من وَحْشَةَ النَوىوهولِ السُرى بين المطية والرحل
سَيعنى بما ضَيَّعتَ منى حافظٌ ويُلغي لما أرخصتَ من خَطري مُغْلي
وأينَ جوابٌ منكَ ترضى بهِ العُلا إذا سَألتني عنكَ ألسنةُ الحفلِ؟

يشعر إبن زيدون بأهميته وعلو منزلته لذلك يتساءل ألم يحن الوقت الذي تبكى فيه الغيوم لأجله، ألم يحن الوقت الذي يجرد فيه الغمام سيفه مطالباً بثأره ثم يتوجه بالتساؤل الذي تشوبه الشدة (هلاّ) أقامت نجوم الليل مأتماً تبكي عليه ولأجله وتعدد محاسنه ومكارمه ومحامده وما ضاعَ من نبله، ثم يعود إلى نفسه قائلاً إن تلك النجوم لو أنضفته وهي في سموها ورفعتها مشابهة له لشعرت بالذل لما أصاب الشاعر من ذلك السجن ولإفترقت نجوم الثريا بعد كونها مجتمعه ولأغضبها ما رأت من تفرق أمر الشاعر وتشتته.

ثم يقسم بالليالي التي طال واستمر رميها له بالنيل (المصائب) وان تلك النبال قد أصابت غرضها ونالت منه مقتلاً، بعد هذا العتب على الغمام والبرق ونجوم الليل يتحول الشاعر إلى الفخر والحديث عن نفسه وخصالها وكيف أن الدهر يعادي ذوي العقول والألباب فهو في حرب معهم دائماً وكأنه يطلبهم ثأراً. وهو يجفي ويبعد على الرغم من مزاياه وملكاته الشعرية الرائعة التي تمكنه من نظم القصائد الفريدة التي تشبه العقد المفصل، وإذا كان العقد الحقيقي قد فصل بين كل لؤلؤتين فيه بخرزة فأن عقود قصائده قد فصل بين لؤلؤها بالرأي السديد والمنطق الفصل الذي يفصل بين الحق والباطل، وهو لو يستطيع كي يرضى الأعداء ويكف شرورهم لشرى عقله ببعض الجهل. بعد ذلك ينتقل بالحديث عن والدته التي أكثرت البكاء عليه لفراقه بسبب السجن

وحزنت حزناً شديداً أوشك أن يذهب بعقلها فهو يحاول مواساتها ويدعوها إلى الصبر قائلاً ألم تشاهدي قبلي (نجماً) رجلاً كالنجم في سمو منزلته قد (هوى) حطه الدهر وإزالة عن مكانته، ولك العبرة والعظة في النبي موسى عليه السلام وأمه التي خافت عليه من فرعون أن يقتله فوضعته في صندوق وألقته في (اليم) نهر النيل، وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى: ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)) القصص: ٧.

وإلى قوله تعالى: ((إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ)) طه: ٣٩.

فهو يدعو والدته إلى الاطمئنان وعدم الجزع لأن الله سبحانه سيعيده إليها سالماً كما أعاد نبيه موسى إلى أمه بعد أن ألقته في اليم. وهو يعلم ما هو مغيب عنا من أحداث حياتنا وهو الحكم العدل الذي يكفينا ظلم الظالمين وجورهم. ثم ينتقل بعد ذلك إلى مدح ابن جهور حاكم قرطبة الذي أمر بسجنه ثم يعود إلى الحديث عن نفسه وكيف كان قبل سجنه جواداً لا يجارى ولا يسبق فهو الجواد الكريم الذي إذا أنطلق مضى على وجهه يعدو بشدة كصوب المطر فلا يتوقف إلا أن يصل إلى نهاية الميدان وينال قصب السبق، بينما هو الآن قابع مقيم في سجنه على الذل والهوان صافناً يشتكي ما أصابه من ألم الوثاق.

ثم يعاتب أبا الحزم قائلاً أأن قال في الوشاة قولاً باطلاً تجد لك في ذلك عذراً للعقود عن مناصرتي ومساندتي وتجد لك مسوغاً في خذلي، وليس لي ذنب عظيم لا يغتفر كي أسجن فأنا لم أوقد حرب الفجار ولم أدع النبوة كما فعل مُسيلمة الكذاب، وأن عقلي ينهاني ويمنعني عن ارتكاب ما نسبه إلي الوشاة وما اتهموني به، وأن حالي معك لم يتغير وودي لك ثابت فلا أنقض ما سبقه أن دبجته فيك من مديح بديع وثناء عاطر فأكون كتلك المرأة التي تقوم بفل غزلها ونقضه بعد أن أحكمت فتله وبذلك يشير إلى قوله تعالى: ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا)) النحل: ٩٢.

ولابن زيدون قصيدة أخرى قالها وهو سجين خاطب بها ابن جهور وقد جاءت في ثلاثة وعشرين بيتاً ومطلعها[١٦٧]:

ما جالَ بعدكَ لحظي في سَنا القَمر إلا ذكَرتُكَ ذِكرَ العينِ بالأثرِ

يتحدث فيها عن حاله وكيف اشتعل رأسه بالشيب قبل الثلاثين من عمره ثم ينتقل إلى الفخر بنفسه قائلاً:

هَل الرياحُ بنَجمِ الأرضِ عَاصفةٌ أم الكُسُوفُ لغيرِ الشمسِ والقَمرِ[١٦٨]

إن كان في السجنِ إيداعِي فَلا عَجَبٌ قد يُودَعُ الجَفنَ حَدَّ الصَّارمِ الذَّكِرِ

يقول إن الرياح لا تعصف بالنباتات الصغيرة الضئيلة الجرم الملتصقة بسطح الأرض بل تعصف بالأشجار العظيمة العالية فتكسرها أو تقتلعها وكذلك الكسوف لا يكون إلا للشمس والقمر أما النجوم وبقية الأجرام السماوية الأخرى فلا يلحقها الكسوف لضالة جرمها وقلة شأنها ثم يضيف إنه ليس من العجائب أن يطول إيداعي وبقائي في السجن لأن السيف القاطع يودع ويحفظ في الغمد[١٦٩]. وبقية القصيدة في مديح أبي الحزم جهور وعتابه والطلب إليه ألا يلهو عنه وينساه لأنه يأمل منه العفو.

حينما حاول أبو بكر محمد بن عمار (ت ٤٧٧ هـ) الاستيلاء على قلعة شقورة وأخذها لابن هود من أصحابها بني سهيل فشلت خطته ووقع أسيراً بأيديهم سجنوه وأرادوا الإفادة منه ببيعه لمن يدفع أكثر من ملوك الطوائف لأن الكثير منهم كان ناقماً عليه يريد الانتقام منه بسبب حماقته وسوء تصرفاته، عند ذلك كتب أبياتاً خاطب بها صاحب المرية يقول فيها[١٧٠]:

أصبحتَ في السوق يَنَادى على رأسي بأنواعٍ من المالِ

فهل فتىً يبتاعُني ماجدٌ أخدمهُ مُدَّة إمهالي

تاللهِ لاجارَ على نَقْده مَنْ ضمَّنى بالثمنِ الغالي

أربِحْ بها مولاي من صَفقَةٍ في سَلْعةٍ من برِّكَ العالي

ثم حاول إبن عمار أن يستبق الأحداث وأن يبادر بعرض نفسه على المعتمد بن عباد ليفتديه لأنه يعلم أن المعتمد سوف يبادر إلى شراه وسوف يسترخص ثمنه مهما غلا بسبب ما قدمت يداه من إساءات إلى المعتمد وعائلته من خيانة وهجاء... الخ. لذلك خاطب المعتمد بأبيات يقول فيها(١٧١):

نفسي تحنُّ إلى فِداءٍ | تفديكِ نفسي من شراءِ
فاسبق بنقدِكَ وعِدْهُم | مُسترخِصاً لي بالغلاءِ
ثم امضى فيَّ على اختيا | ركَ من فَنَاءٍ أو بَقَاءِ
واللهِ مـا أدري إذا | قالوا: غداً يومَ اللقاءِ
ما أقتل الحـالين لي | إن كان خَوفي أو حَيائي

بعد ذلك بادر المتعمد بن عباد بإرسال ولده يزيد الملقب بالراضي قتل سنة (٤٨٤هـ) لإتمام مهمة شرائه وجلبه إلى قرطبة، فلما علم إبن عمار بمقدمة كتب إليه قصيدة يستشفع به لدى أبيه المعتمد لعله يعفو عنه ويبدى فيها الخضوع والتذلل ويرجو ويلتمس الأمان والرضا يقول إبن عمار:

((قالُوا أتى الراضِي فقلتُ لعلها | خُلِعتْ عليهِ من سماتِ أبيهِ
فألٌ جَرى فعَسَى المـؤيد واهبٌ | لي من رضاهُ ومن أمانِ أخيهِ
قالوا: نَعم فوضعتُ خَدَّي في الثرى | شُكراً لـه وتيـمُناً ببنيهِ
يا أيها الراضــي وإن لم يلقني | من صفحةِ الراضي بما أدريهِ
هَبكَ احتجبتَ لوجهِ عُذرٍ بيِّنٍ | بَذلُ الشفاعةِ أيُّ عُذرٍ فيهِ
خَففْ على يديكَ الكريمة أسطراً | في مَنْ أَسرتَ فتنثى تفديهِ(١٧٢)

ثم صدر عن شقورة وجاء به إلى قرطبة يوم الجمعة السادس من رجب من العام وقد برز الناس لدخول الراضي وإبن عمار في ذلك الحفل في قيوده، على دابه هجينة، حاسراً في ثوب خَلَق بين عِدْلي تبن، عظة لمن اعتبر مجاري الليالي والأيام ولعبها بالأنام فكم دخل قرطبة قبل في أبهة الرؤساء، يسحب ذيل الكبرياء فسبحان من يبسط للمحسن والمسيء عدله، ولا تدوم العزة إلا له)) (١٧٣).

ويضيف إبن بسام ((أن إبن عمار كان يباهي يومئذ بذلته وقلته عدد أسره الراضي وعدته، ويقاوم بهوانه وامتهانه بأسه وشدته حتى كأنه أحد خدمه أو بعض حشمه)) (١٧٤).

ولما قارب قرطبة قال يخاطب المأمون الفتح بن المعتمد قتل سنة (٤٨٤هـ) مستشفعاً به(١٧٥):

هلاَّ سألتَ شفاعةَ المأمونِ | أو قُلتَ ما في نفسهِ يَكفيني
ما ضرَّ لو نَبهتُه بتحيةٍ | يَسرى النسيُم بها على دَارين

يقول فيها:

بيدي من المأمونِ أوثقُ عِصَمةٍ | لو أَن أَمري في يدِ المأمونِ
أمري إلى ملكٍ إليـهِ أمرُه | كفاهُ من فوقٍ كفاه ودُون
يا فتحُ جرَّدها عنايةَ فـارسٍ | دَربٍ على نَصرِ الولي أمينِ
وأقرن شفاعَتكَ الكريمةَ عندَهُ | بتواضعٍ عن عزةٍ لا هُونِ
في شِكَّةٍ من هَيبةٍ وسكينةٍ | وبضجةٍ من رَحمةٍ وحنينِ
يا فتحُ إن نازلتهُ مُستنزلاً | فاهنأ بفتحٍ من رضاهُ مُبين
وليخلُصنَّ إليكَ من أنفالهِ | علقٌ يَشدُّ عليهِ كفُّ ضَنينِ

القصيدة طويلة جاءت في سبعة وعشرين بيتاً معظمها في مديح المأمون الفتح وأبيه المعتمد بن عباد وما ذكرناه منها كان في الاستشفاع وقد أوردها إبن بسام كاملة وقال عنها أنها قصيدة فريدة وهي من حر النظام وجزل الكلام(١٧٦).

وعلق د. صلاح خالص على هذه القصيدة قائلاً ((فلدينا قصيدة أخرى كتب بها إلى الفتح بن المعتمد الملقب بالمأمون يتوسل فيها إليه أن يشفع له لدى والده وينقذه مما هو فيه من العذاب

يفتتحها بتوسل بارع يوجهه لنفسه... ثم يمزج التوسل بالرجاء والمدح كما فعل في قصيدته السابقة ويتفنن في ذلك أيما تفنن فيصفه تارة بالتقي وآنا بالمهابة وطوراً وبالتواضع... ويتخلل المدح وصف لحالته المؤلمة وحظه العاثر مقارناً بين ماضيه وحاضره وأنهى قصيدته بالتوسل إلى الفتح المأمون في ألا يأل جهداً لدى أبيه لإنقاذه من سجنه وانتشاله من وهدته...)) (١٧٧).

ومن أروع وأبدع ما قاله إبن عمار من شعر وهو سجين يرسف في قيوده وأغلاله في قصر المعتمد إبن عباد باشبيلية قصيدة خاطب بها المعتمد بن عباد وهي ترتفع إلى روائع الشعر الإنساني الخالد لما تضمنته من عواطف صادقة وأحاسيس متقدة ومشاعر متدفقه وهو بين يأس من الحياة وأمل ضعيف فيها لأن المعتمد كان يستحضره بين وقت وآخر إلى مجلسه فيذكره بأخطائه ويعدد عليه ذنوبه وإساءاته وإبن عمار يبالغ في الاعتذار والتوسل والتذلل(١٧٨). وهي أخر ما فاضت به قريحة الشاعر قبل قتله على يد صديقه المعتمد وأرادها أن تكون السبيل إلى خلاصة من محنته فأودعها كل ما يستطيع من مشاعر وعواطف وأحاسيس. يقول إبن عمار في قصيدته(١٧٩):

سَجَاياكَ إن عافيتَ أندى وأسجحُ ... وعذرك إن عاقبت أجلى وأوضحُ(١٨٠)
وإن كانَ بين الخطَّتينِ مَـزيةٌ ... فأنتَ إلى الأدنى من اللهِ أجنحُ(١٨١)
حنانيكَ في أخذي، برأيكَ لا تُطع ... عِداتي وإن أثنوا عليّ وأفصحوا
وماذا عسى الأعداءُ أن يتَزيدوا ... سِوى أن ذَنبي واضحٌ متصححُ(١٨٢)
نعم لي ذنبٌ غيرَ أن لحـلمه ... صفاةٌ يزلُّ الذنبَ عنها فيسفحُ(١٨٣)
وإن رجائي أن عندك غير ما ... يخوضُ عدوي اليومَ فيه ويمرحُ
ولم لا وقد أسلفتُ وداً وخدمةً ... يَكرَّان في ليلِ الخطوبِ فَيُصبحُ
وَهَبني قد أعقَبتُ أعمالَ مُفسِدٍ ... أما تَفسَدُ الأعمالُ ثُمتَ تصلحُ
أَقلني بما بيني وبينكَ من رضىً ... له نحوَ رَوْح اللهِ بابٌ مفتَّحُ(١٨٤)
وعفَّ على آثارِ جُرم سَلكتُها ... بهبةِ رُحمى منكَ تعفُو وتَصفَحُ(١٨٥)
ولا تَلتفتْ قولَ الوشاةِ وزُورهم ... فكلُّ إناءٍ بالذي فيهِ يرشَحُ
سيأتيكَ في أَمري حديثٌ وقد أتى ... بزورِ بني عبد العزيز مُوشَّحُ(١٨٦)
وما ذاكَ إلا ما علمتَ فإننـي ... إذا ثبتُ لا أنفكُّ آسُو وأجرحُ
تخيَّلتهم لا درَّ للهِ دَرهُـم ... أشارُوا تجاهي بالشَّمات وصرَّحوا(١٨٧)
وقالوا سيجزيه فلانٌ بفعلهِ ... فقلتُ: وقد يعفو فلانٌ ويَصفَحُ(١٨٨)
أما إنَّ بطشاً للمـؤيد يُتَّـقى ... ولكن حلماً للمؤيدِ أَرجَحُ
سلامٌ عليهِ كيفَ دارَ به الهوى ... إليَّ فيدنو أو عليّ فينـزحُ(١٨٩)
ويَهنيهِ إن متُّ السُّلوُ فإنني ... أموتُ ولي شوقٌ إليه مُبرَّح(١٩٠)
وبينَ ضُلُوعي من هواهُ تميمةٌ ... سَتنفعُ لو أنَّ الحِمَام يُجلَّحُ(١٩١)

وأعتقد أن هذا النص ليس بحاجة إلى إيضاح أو تحليل وان كل شرح أو تحليل لا يرقى إلى مستواه بل سوف يهبط دون ذروته وسناه وهو بنفسه غني عن كل ما سواه.

قال إبن بسام: ((بلغني أنه لما وصلت هذه القصيدة إلى المعتمد جعل من بحضرته من أعداء إبن عمار ينتقدونه ويطلبون به عيباً يجدونه، فجعلوا يقولون: أي معنى أراد، ما قال شيئاً ولا كاد، فقال لهم المعتمد: مهما سلبه الله من المروءة والوفاء، فلم يسلبه الشعر، إنما قلب بيت الهذلي فأحسن وهو قوله:

وإذا المنيةُ أنشبت أظفارَها ... ألغيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعً

فسكت القوم في ناديهم، وسقط بأيديهم، غير أن أبا سالم العراقي جعل يتمضغ بقوله: ((يكران في ليل الخطايا)) وقال: ما معناه؟ وهلا بدل هذا اللفظ بسواه؟ فقال له المعتمد وأراه طنز(١٩٢) عليه، وأشار بالتقصير إليه: أبا سالم، أنزله وإن استطعت بفضلك فأبدله فأحجم وتلعثم، ولم يتأخر ولا تقدم...)) (١٩٣).

وكان المعتمد بن عباد قد سجن إبن عمار داخل قصره على قرب منه وكان يحضره مراراً بين يديه يعدد ذنوبه عليه فبقى مدة كذلك... فكتب إلى المعتمدة شعراً استرحمه فيه فعطف عليه وأحضره ليلته تلك ووعده بالعفو عنه فخاطب إبن عمار من حينه الرشيد (ولد المعتمد) بذلك فلمح تلك المخاطبة إبن الأعلم وزيره يؤمئذ فحدث بالأمر وذاع السر وانتهى الخبر إلى المعتمد فاتقد غضباً وقام من فوره وأخذ طبرزينا[١٩٤] وذهب إلى موضع إبن عمار الذي كان فيه مسجوناً ودخل إليه فانكب إبن عمار يقبل رجليه، فضربه به ثم أمر أن يجهز عليه، وأخرج وروي في قيوده خارج باب القصر المبارك المعروف في اشبيلية بباب النخيل[١٩٥].

الخاتمة

تعرض لعقوبة السجن عدد كبير من الشعراء لا لأنهم كانوا دائماً في صفوف المعارضة وإنما لأن الشاعر كان في الوقت نفسه شخصية سياسية يصيبه ما يصيب رجل السياسية عند تقلب الأوضاع واصطدام المطامح المتباينة.

إن الشعر الذي قيل في السجون لم يقتصر قوله على طائفة أو فئة معينة من الناس وإنما شمل مختلف طبقات المجتمع فمنهم شعراء من عامة الناس ومنهم الوزراء والأمراء وبعض الملوك.

لقي عدد من الشعراء حتفهم في سجونهم أما بالموت مثل المعتمد بن عباد أو بالقتل مثل الوزير هاشم بن عبد العزيز والوزير (الحاجب) جعفر بن عثمان المصحفي والوزير أبو بكر محمد بن عمار، والشاعر أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري.

من السجون ما كان مرعباً رهيباً لأنه تحت الأرض (مطبق) لا يرى فيه السجين شمساً ولا ضوءاً فالليل والنهار عنده سواء، فهو مظلم كالقبر.

بعض السجون فيه مكان خاص للخواص ومستوري الحال وذوي الهيئات يكونون بمعزل عن الجناة والمفسدين واللصوص.

أما معاني شعر السجون فمنها ما كان مشتركاً بين الشعراء ومنها ما كان خاصاً عند بعضهم دون البعض الآخر.

فمن المعاني المشتركة: وصف السجن، وصف الحال في السجن، ووصف القيود والأغلال وكذلك الشوق إلى الحرية والتشوف إلى الخلاص والانطلاق من القيود والسجن، والشوق إلى الأهل والأخوان والمرأة (الحبيبة، الأم، الزوجة، الجارية). ومنهم من أبدى في شعره معاني التذلل والخضوع والخنوع والخور والتوسل واستجداء العطف وطلب الرحمة والعفو مثل الحاجب المصحفي والوزير أبو بكر محمد بن عمار.

والبعض الآخر طلب العفو دون تذلل أو خنوع وإنما أتسم موقفهم بالشجاعة وعزة النفس والفخر وكانوا يدافعون عن أنفسهم ويبررون أسباب سجنهم مثل الشاعر الفارس سعيد بن جودي والوزير الشاعر إبن زيدون وغيرهم.

قال بعضهم شعراً نلمح فيه الحكمة وحاول أن يفلسف فيه الحياة فلسفة مستمدة من المعاناة والقلق والحيرة والحرمان، وذلك لأن الشاعر لا يصدق ما آل إليه حاله فبعد أن كان سيداً عزيزاً مطاعاً أمراً ناهياً إذا به يصبح عبداً ذليلاً مهاناً خائفاً في سجنه كما لاحظنا ذلك عند المصحفي.

ومنهم من نظر إلى الحياة نظرة نابعة من التفكير والتأمل العميق في صروف الدهر وتقلبات الأيام، ومن عمق التجربة التي أفرزتها قسوة الحياة وشدة المحنة والمعاناة كما لاحظنا ذلك عند الشريف الطليق، الذي سجن وعمره ستة عشر عاماً ومكث في السن ستة عشر عاماً وعاش بعد خروجه من سجنه عشر عاماً وهو من غريب المصادفات.

وهناك معان وأغراض أخرى أنصرف إليها نفر من الشعراء منها، التغزل ببعض الغلمان الذين كانوا في السجن مثلما فعل الشاعر يوسف بن هارون الرمادي، وأبو عبد الله محمد بن مسعود البجاني .

ومنهم من قال شعر الحكمة التعليمية والآداب السنية متوجهاً به إلى بنيه مثل الشاعر أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري. وبعضهم قال شعراً يعزي فيه أباه السجين كما فعل ذلك أبو جعفر بن سعيد يعزي أباه الذي سجنه عبد المؤمن الموحدي... الخ.

وهذه الأغراض الأخيرة لم نذكر لها شواهد شعرية لأن البحث سوف يطول ويكون خارج حدود المطلوب، وكذلك لم نذكر شيئاً عن حياة علمين من أعلام الأدب الأندلسي وهما يحيى بن حكم الغزال[١٩٦]، وأبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم[١٩٧] وكانا قد سجنا.

Meanings of poetry of the prisons Adulusi literatuere to end of the sect's age

Summery

Among the reveal of circumstances which the home-land undergoes, and what we hear and see in the media means about prisons and prisoners. The idea of research emanated , so we would like to know about the Andulus poetry in this field and observe the meanings of that poetry .

When we looking into resources of Andulus literature we review lots of poetic poems and their parts said by poets in their prisons and jails in which the prisoners expressed the meaning lurking in their hearts .That meaning depicted the prisons , their conditions and sufferings of prisoners from chains , handcuffs and darkness .

Some meanings express beams of yearning to people , lovers and passion to freedom and release from chains . Some of which tackle the selfness . So in the night pitch dark prison's darkness , between the chains and behind bars selfness proceeds and the thinking starts to roam the pages of past . Selfness and thinking get the beautiful images of the past , it's loving memories back in addition to it's marks and the points of meeting among lovers who live a false happiness together away from their reality and existences .

The attitudes of poets vary in the prisons and who threw them into jails in (٢) images or (٢) attitudes , first of which was characterized by firmness , patience and pride. So these poets express the meaning of patience force and self dignity. But second part of them was that their attitude was **weak ovation** through which we take a glimpse of a wisdom and life philosophy understanding attempt .

Where attitudes of some of them appeared because of suffering, worries puzzle and depr , we can see through it wisdom and attempt for life philosophy .

The researcher

الهوامش

---

[١] تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة: د. إحسان عباس، ص ٢١.
[٢]فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة: د. حكمت الأوسي: ص ٢٩.
[٣] لأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: د. أحمد هيكل: ص ٢٦٨.
[٤] أنظر بقية الملتمس: ص ٢٩.
[٥] تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين: د. إحسان عباس: ص ٨ – ٩.
[٦] تاريخ الأدب العربي، الأدب في المغرب والأندلس إلى أخر ملوك الطوائف: د. عمر فروخ: ص ١٥.
[٧] م. ن.
[٨] تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين: د. إحسان عباس: ص ٣٤.
[٩] تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة: د. إحسان عباس: ص ٩٩ – ١٠٠.
[١٠] أنظر قلائد العقيان: ١/ ٨٩، ٩٣.
[١١] المغرب: ١/ ٥٢ – ٥٣، بغية الملتمس: ص ٢٤ – ٢٥.
[١٢] المغرب: ١/ ٥٢ – ٥٣، الحلة السيراء، ١/ ١٣٧ – ١٤٢.
[١٣] وليد بن عبد الرحمن بن غانم: ولي للأمير محمد بن عبد الرحمن خطتي الوزارة والمدينة وكان كاتباً أديباً مترسلاً بليغاً، وكان وليد صديقاً لهاشم بن عبد العزيز توفي سنة ٢٧٢هـ أنظر: الحلة السراء: ٢/ ٣٧٤.
[١٤] الحلة السيراء: ١/ ١٤١.
[١٥] غص بالماء والطعام: اعترض في حلقه فمنعه عن التنفس فهو غاص. المنجد: غص نهنهت الرجل عن الشيء فتنهنه: أي زجرته وكففته فكف. الصحاح: نهه الكاشح: العدو الباطن العداوة كأنه يطويها في كشحه. المنجد: كشح.
[١٦] تحاملت، تحاملت على نفسي، إذا تكلفت الشيء على مشقة. الصحاح: حمل.
[١٧] الحلة السيراء: ١/ ١٤٠ – ١٤١.
[١٨] مطبق: السجن تحت الأرض، المنجد في اللغة: طبق، مضبب: مقفل بحديدة تدخل من الباب الجدار. الضبة: حديدة عريضة يضبب بها الباب: الصحاح: ضبب.
[١٩] باطن: بطنت هذا الأمر: عرفت باطنه، بطنت بفلان: صرت من خواصه. أنظر الصحاح: بطن.
[٢٠] المغرب: ١/ ٢١١- ٢١٢.
[٢١] هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزي أحد شعراء المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر ويعد من كبار شعراء عصره وأدبائهم، أصبح وزيراً لعبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر، ولما قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع صاحب دولته وأميرها المطاع أتهم الجزيري بالتآمر معه فسجن وقتل في سجنه سنة (٣٩٤هـ) أنظر: المطمح: ١٧٧- ١٧٩. والحلة السيراء: ١/ ٢٦٦. رايات المبرزين: ص ٢٣٠. الصلة: ١/ ٣٣٨ رقم الترجمة ٧٥٩.
[٢٢] السها: كوكب خفي والناس يمتحنون به أبصارهم. المنجد. سها.
[٢٣] أعور ناعق: الغراب، على التشاؤم به لأن الأعور عندهم مشؤوم.
[٢٤] المطمح: ص ١٧٧ – ١٧٩.
[٢٥] شحط: الشحط البعد أنظر الصحاح: شحط. نافرت: باعدت، جزعت. المنجد في اللغة: نفر. المزار: الزيارة، موضع الزيارة، الصحاح: زور.
[٢٦] هو مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، أبو عبد الملك ولد سنة ٣٥٠هـ كان أديباً شاعراً مكثراً وأكثر شعره في السجن توفي نحو سنة ٤٠٠هـ أنظر: الحلة السيراء: ٢٢٠/١ – ٢٢٥، المغرب: ١/ ١٩١، الجذوة: ٣٢٤ –٣٤٣.

(٢٧) الحلة السيراء: ١/ ٢٢١.
(٢٨) م. ن.
(٢٩) الأثباج: مفردها ثبج: وثبج كل شيء وسطه. الصحاح: ثبج.
(٣٠) الزهراء: ضاحية شمال قرطبة بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر أول سنة ٣٤٥هـ وأتسمر العمل فيها إلى أخر دولة الناصر وأبنه الحكم. أنظر: النفح: ١/ ٥٦٥.
(٣١) أنظر: المغرب: ١/ ١٩١.
(٣٢) الرمادي: من شعراء القرن الرابع الهجري كان في سلوكه الكثير من الجرأة والاستهتار سجنه الخليفة المستنصر ثم أطلق سراحه كان شاعر أهل الأندلس والمقدم على الشعراء روى عن أبي علي البغدادي كتاب النوادر من تأليفه توفي سنة ثلاث وأربع مئة فقيراً معدماً. أنظر: الصلة: ٢:/ ٦٣٧. والمغرب: ١/ ٣٩٢. المطمح: ٣١١.
(٣٣) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ص ٢٨٩ نقلاً عن الجذوة: ص ٣٧٢.
(٣٤) المطمح: ٣٢٠.
(٣٥) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: د. أحمد هيكل: ص ٣٠٠.
(٣٦) المطمح: ص ٣١٨.
(٣٧) هو أحمد بن عبد الله بن زيدون ولد بقرطبة سنة (٣٩٤هـ) في بيت من بيوت أعيانها شغل منصب الوزارة لبني جهور بقرطبة ولبني عباد في أشبيلية، أشهر أحداث حياته حبه لولادة بنت المستكفي، تم إيداعه السجن بتهم ملفقة وفرّ من سجنه توفي في قرطبة سنة (٤٦٣هـ). أنظر: الذخيرة: ق١ م١/ ٣٣٦ وما بعدها، ابن زيدون: شوقي ضيف: ص ١٥ – ٢٤. وأنظر في الأدب الأندلسي: جودت الركابي: ص ١٧٦.
(٣٨) أنظر ابن زيدون: شوقي ضيف: ص ٢٣، وأنظر: رايات المبرزين: ص ١٢١ – ١٢٢.
(٣٩) الذخيرة: ق١ م١/ ٣٥٥.
(٤٠) الذخيرة: ق١ م١/ ٣٥٥ - ٣٤٩.
(٤١) م. ن: ق١ م١/ ٣٤٧ – ٣٤٩.
(٤٢) كبرة: الكبر في السن، المنجد: كبر. عارض: السحاب. المنجد: عرض.
(٤٣) الكثب: القرب الصحاح: كثب. هصر: الهصر: الكسر، هصرت الغصن: إذا أخذت برأسه فأملته إليك. الصحاح: هصر.
(٤٤) الغَمْر: الماء الكثير، الغُمَر: الكأس الصغير الصحاح: عمر.
(٤٥) عبد الرحمن بن رشيق: رجل من سلالة بلج بن بشر القيسي الذي قدم من الشام على رأس حملة تأديبية عندما ثار البربر في القرن الثاني الهجري، وإبن رشيق هذا كان حاكماًَ على الحصن المسمي باسم (بلج) ويقع هذا الحصن على الطريق بين قرطبة ومرسية وعند مرور إبن عمار صحبة جيشه إلى مرسية استقبله إبن رشيق بحفاوة وقدم له ضروب المساعدة والتأييد فالحق بركابه وتعاون وإياه على تنفيذ غرضه. أنظر محمد بن عمار الأندلسي: د. صلاح خالص: ص ١٢٠ – ١٢١.
(٤٦) أبو عبد الرحمن بن طاهر: تغلب على مرسية وظل يحكمها إلى أن غلبته الفتن وجه إليه المعتمد بن عباد جيشاً بقيادة وزيره أبن عمار وقائده أبن رشيق ففر ابن طاهر إلى بلنسية في كنف صاحبها إبن عبد العزيز، توفي سنة(٥٠٧هـ) وكان من أهل العلم والأدب البارع يتقدم رؤساء عصره في البيان والبلاغة،أنظر:الحلة السيراء: ٢/ ١١٦ - ١١٨،قلائد العقيان: ١/ ١٧٠ – ١٧٢.
(٤٧) شقورة: هي أحدى معاقل الأندلس التي يتعب البصر في استقصاء سمكها، ويرتد حسيراً عن آفاق ملكها، لا يأخذها قتال ولا يبالي من أعتصم بها إلا الأجال، وفيها يقول أبن عمار:
عال كان الجن إذ مردت جعلته مرقاة إلى السحب
أنظر: المغرب: ٢/ ٦٥.

(٤٨) أنظر: الحلة السيراء: ٢/ ١٣١- ١٥٠، محمد بن عمار الأندلسي: د. صلاح خالص: ص ١٤٥ – ١٤٨.
(٤٩) أبو الفضل بن حسداي: هو حسداي بن يوسف بن حسداي الإسرائيلي أحد كتاب عصر الطوائف قال عنه أبن بسام: وأحكم علم لسان العرب وبلغ الرتبة العليا من البلاغة في الشعر والأدب. أنظر: الذخيرة/ ق٣ م١ ص ٤٥٨، المغرب: ٢/ ٤٤٠ والنفخ: ١/ ٥٣٥، ٦٤٠.
(٥٠) الطل: المطر الضعيف، الندى. المنجد في اللغة: طلّ.
(٥١) تقاذفت: يقال: فلاة قذف: أي بعيدة تقاذف بمن يسلكها. الصحاح: قذف الركاب: الأبل التي يسار عليها. الصحاح: ركب، الموماة: المغازة: الصحاح: موم.
(٥٢) كلح البعير: أعيا، الطلح: المعيي من الأبل وغيرها. الصحاح: طلح.
(٥٣) معارج: مصاعد، عرج في الدرجة والسلم، يعرج عروجاً إذا إرتقى. الصحاح: عرج. حرج: مكان حرج، حرج: أي ضيق كثير الشجر، الصحاح: حرج.
(٥٤) مردت: المارد: العاتي، وقد مرد الرجل بالضم مرادة فهو مارد، ومريد. الصحاح: مرد. النسر: في النجوم: النسر الطائر، والنسر الواقع، الصحاح: نسر.
(٥٥) وحش: الوحشة الخلوة والهم، أرض وحشة: أي قفر، وأوحش المنزل: ذهب عنه الناس. الصحاح: وحش، التناكر: التجاهل، الإنكار: الجحود. الصحاح: نكر.
(٥٦) التمهيد: التمكن. الخوافي: ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح. الصحاح: خفي.
(٥٧) متحيز: الحوز: الجمع، تحوزت الحية أي تلوت. الصحاح: حوز. الوقار: الحلم والرزانة. الصحاح: وقر.
(٥٨) عنان بالفتح: السحاب وأعنان السماء: صفائحها. الصحاح: عنن.
(٥٩) قلائد العقيان: ١/ ٢٧٣.
(٦٠) الهجنة: في الناس والخيل إنما تكون من قبل الأم فإذا كان الأب عتيقاً والأم ليست كذلك كان الولد هجيناً. الصحاح: هجن. الزاملة: بعير يستظهر به الرجل يحمل متاعه وطعامه عليه. الصحاح: زمل.
(٦١) أنظر الحلة السيراء: ٢/ ١٥٠ - ١٥١.
(٦٢) قلائد العقيان: ١/ ٢٧٣ وأنظر: الذخيرة. ق٢ م١/ ٤١٩.
(٦٣) الرشيد: هو عبيد الله بن محمد أبو الحسين، الأبن الثاني للمعتمد، كان دمثاً رقيق حاشيه الطبع جعله والده ولياً للعهد كما قدمه إلى خطة القضاء باشبيلية، ولما نقل بنو عباد إلى المغرب أسكن الرشيد منهم بقلعة مهدي وكان هناك إلى أن توفي في حدود الثلاثين وخمسمائة وقد نيف على السبعين. أنظر: الحلة السيراء: ٢/ ٦٨ – ٦٩، والنفخ: ٣/ ٦١٢، ٤/ ٩٤، ٩٥.
(٦٤) الذخيرة: ق١ م١/ ٤٢٦ – ٤٢٧.
(٦٥) الغمام: السحاب – الصحاح: غمم، البريد: إثنا عشر ميلاً. الصحاح: برد.
(٦٦) صحنه: الصحن: وسط الدار. الصحاح. صحن. الفريد: الدر. الصحاح: برد.
(٦٧) الصلاصل: الأصوات. الصحاح: صلل.
(٦٨) أبو بكر أبي العلاء: تحدث أبن سعيد عن والده فقال أنه كاتب شاطبة الذي لم أجد له فيها نظير... وهو معروف فيها بالكتابة عمن يليها من الأمراء وتوفي سنة ٥٣٩هـ ولم نقف على تاريخ وفاة أبنه (أبو العلاء) ويبدو من تاريخ وفاة والده أنه عاش في زمن المرابطين. أنظر: المغرب: ٢/ ٣٨١ – ٣٨٢.
(٦٩) المغرب: ٢/ ٣٨٢.
(٧٠) الصنديد: السيد الشجاع الصحاح: صند. الصيد: جمع مفردة الأصيد: وهو الذي يرفع رأسه كبراً. الصحاح: صيد الهون: الهوان، الخزي، الصحاح، المنجد في اللغة: هون.
(٧١) الكبل: القيد الضخم. الصحاح: كبل.
(٧٢) التأليب: التحريض. الصحاح: ألب. مغناهم: مكان إقامتهم، الصحاح: غني.

(٧٣) هو سعيد بن سليمان بن جودي أبو عثمان من هوازن، ولما قتل سوار بن حمدون رئيس العرب زمن الفتنة في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ – ٣٠٠هـ) نصبته العرب لإمارتها بعده، وكان شجاعاً بطلاً وفارساً محرباً، وكان أديباً نحريراً وشاعر محسناً قتل غيلة بأيدي بعض أصحابه سنة (٢٨٤هـ). أنظر: الحلة السيراء: ١/ ١٤٨، ١٥٤ – ١٦٠.

(٧٤) الكرب: الغم الذي يأخذ بالنفس، والشدة. الصحاح: كرب.

(٧٥) القد: القيد

(٧٦) الردنيية: الرماح. الصحاح: ردن.

(٧٧) كميها: الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه لأنه كمى نفسه أي سترها بالدرع والبيضة والجمع الكماة. الصحاح:كمي.

(٧٨) الحلة السيراء: ١/ ١٥٩ – ١٦٠.

(٧٩)أشار المحقق إلى أن البيتين الأخيرين من هذا النص الشعري لم يذكرهما أبن الأبار فذكرهما المحقق في الهامش وذكر أنهما مكملات للنص: أنظر الحلة السيراء: ١/ ١٦٠.

(٨٠) المصحفي: الوزير الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، بربري الأصل استوزره الخليفة الحكم المستنصر وبعد وفاته أصبح حاجباً لأبنه هشام المؤيد، فتغلب عليه منافسه محمد بن أبي عامر الذي كان يتولى الشرطة الوسطى والسكة والمواريث والوكالة، ورماه في السجن إلى أن مات فيه سنة (٣٧٢هـ). أنظر: الحلة السيراء: ١/ ٢٥٧ – ٢٥٩، المطمح: ص ١٥٣ – ١٦٥، الجذوة: ص ١٨٧.

(٨١) الحلة السيراء: ١/ ٢٦٥ وأنظر المطمح: ص ١٦١.

(٨٢) صروف الدهر: نوائبه، وحدثانه، المنجد في اللغة: صرف.

(٨٣) تجافت، تجافي: تنحى ولم يلزم مكانه. المنجد: جفا.

(٨٤) شزرا. شزر الرجل إليه: نظر إليه بجانب عينه مع أعراض أو غضب. المنجد في اللغة: شزر.

(٨٥) جليقية: مدينة قرب ساحل البحر من ناحية شمال الأندلس. أنظر المطمح: ١٦١.

(٨٦) المطمح: ١٦٠ – ١٦١ وأنظر: الذخيرة: ق٤ م١/ ٦٧.

(٨٧) الحلة السيراء: ١/ ٢٦٧ وأنظر: الذخيرة: ق٤ م١/ ٦٩.

(٨٨) الذخيرة: ق٤ م١/ ٧٠.

(٨٩) م. ن.

(٩٠) أنظر النفخ: ١/ ٦٠٢ – ٦٠٣.

(٩١) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي أبو بكر الملقب بالحجر كان يتولى طليطلة لهشام المؤيد والمنصور بن أبي عامر، أتهم بالاشتراك مع عبد الله بن أبي عامر في مؤامرة ضد أبيه ولم تنجح المؤامرة، وقد فرّ عبد الله المرواني إلى برمودو الثاني ملك ليون ثم ظفر به المنصور بن أبي عامر وسجنه، وظل في سجنه إلى أن مات المنصور وولي أبنه المظفر عبد الملك حجابة هشام فأطلقه من السجن وولاه الوزارة وتوفي غازياً مع عبد الملك سنة ٣٩٣ بمدينة لاردة. أنظر: الحلة السيراء: ١/ ٢١٥ – ٢٢٠.

(٩٢) الحلة السيراء: ١/ ٢١٨ – ٢١٩.

(٩٣) برمند: هو برمودو الثاني إبن رذمير الثاني ملك مملكة ليون وأشتريس وجليقية من سنة (٣٧٢ – ٣٩٠هـ) معاصر المنصور بن أبي عامر. أنظر: الحلة السيراء: ١/ ٢٢٠.

(٩٤) الحلة السيراء: ١/ ٢٢٠.

(٩٥) أنظر: الحلة السيراء: ١/ ٢١٦.

(٩٦) الحلة السيراء: ١/ ٢٢١.

(٩٧) أبو عبد الله محمد بن مسعود البحاني (ت ٣٧٩هـ) أصله من بجانة وسكن قرطبة كان شاعراً مشهور منتجعاً للملوك كثير الشعر مليح الغزل سجنه المنصور بن أبي عامر بتهمة الزندقة، ومن

السهل أن تعلق به هذه التهمة لأن إقباله على الهزل كان يؤدي به إلى شيء من الاستهتار، أنظر: الجذوة: ص ٩٣، وتاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة: د. إحسان عباس ص ٢٢٥.

(٩٨) الذخيرة: ق١ م١/ ٥٦٤.

(٩٩) الهيم: الأبل العطاش، الصحاح: هيم. النيب: النوق المسنة. الصحاح: نيب

(١٠٠) الترجيع: الترجيع في الأذان، وترجيع الصوت ترديده في الحق. الصحاح: رجع، التثويب: أن يقول المؤذن في صلاة الفجر: الصلاة خير من النوم. الصحاح: ثوب.

(١٠١) يتيمة الدهر: ٢/ ١٠٢ – ١٠٣.

(١٠٢) ألوي إلواء برأسه: أماله. التجلد: الصلابة والقوة. المنجد: جلد.

(١٠٣) شحط: بعد. المنجد: شحط. نافرت: باعدت، تركت. المنجد: نفر. الهجوع: النوم. المنجد: هجع.

(١٠٤) أزرى: أزراه: عابه ووضع من حقه، أزرى بالأمر: تهاون. المنجد: زرى.

(١٠٥) وهم الشيي: تمثله وتخيله وتصوره. المنجد: وهم. سما: علا وأرتفع. المنجد: سما.

(١٠٦) سما: علا وارتفع. المنجد: سما.

(١٠٧) راعتنا: راع منه: فزع. المنجد. روع النوي: البعد. المنجد: نوي.

(١٠٨) إنسان عيني: إنسان العين: ما يرى في سوادها أو هو سوادها. المنجد: أنس.

(١٠٩) المعلى: السهم السابع. الصحاح: علا، على.

القداح: مفردها قدح: السهم قبل أن يراش ويركب نصله.

الميسر: كل قمار، اللعب بالقداح، الجزور التي كانوا يتقامرون عليها وذلك أنهم كانوا ينحرون الجزور ويقسمونها ثمانية وعشرين قسماً أو عشرة أقسام، ثم يضربون بالقداح وفيها الرابح والغفل. فمن خرج له قدح رابح فاز وأخذ نصيبه من الجزور ومن خرج له الغفل غرم ثمنها. المنجد في اللغة: يسر.

(١١٠) يوسف بن هارون الكندي أبو عمر يعرف بالرمادي شاعر قرطبي كثير الشعر مشهور عند العامة والخاصة، قال شيوخ الأدب فتح الشعر بكنده وختم بكنده يعنون أمرأ القيس والمتنبي ويوسف إبن هارون وكانا متعاصرين سجنه الخليفة الحكم المستنصر وكان قد أتهم وجماعة من الشعراء بذم السلطان (ت ٤٠٣). أنظر البغية ص: ٤٥٧ – ٤٦٠، الصلة: ٢/ ٦٣٧ رقم الترجمة: ١٤٩١.

(١١١) تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة. د. إحسان عباس. ص ٢٢٠.

(١١٢) المطمح: ص ٣١٩.

(١١٣) المطمح: ص ٣١٩.

(١١٤) نصبته: النصب: التعب، هم ناصب: أي ذو تعب. الصحاح: نصب.

(١١٥) تكنفه: أحاط به. الشجو: الهم، الحزن، الصحاح: كنف، شجو. الصبوة: الشوق: الواشي: النمام، المنجد في اللغة: صبا: وشي.

(١١٦) دخيلة: باطن أمره. الصحاح: دخل.

(١١٧) المطمع: ص ٣٢٠.

(١١٨) أن لفظة (كبري) غير صحيحة في هذا البيت وأظن أن المحقق قد جانبه الصواب هنا والصواب استخدام كلمة (كبدي) التي يستقيم بها معنى البيت ولأن الشعراء العاشقين يشكون ألم الكبد فالشاعر أبن عبد ربه يقول:

يا برده من حيا مزن على كبد   نيرانها بغليل الشوق تستعر

أنظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة. د. أحمد هيكل. ص ٢٣٦.

(١١٩) الواكفات: الواكف، المطر المنهل. المنجد في اللغة: وكف.

(١٢٠) ظعنت: سارت، ظعن سار. الصحاح: ظعن. قطينها: القطين، الخدم والإتباع: الصحاح: قطن.

(١٢١) مدنف: مريض. الصحاح: دنف.
(١٢٢) رشفة: الرشف: المص. الصحاح: رشف. الحشا: ما اضطمت عليه الضلوع. الصحاح: حشا. صيّف: حار، قائظ، الصحاح: صيف. ترسف: الرسفان: مشيء المقيد. الصحاح. رسف.
(١٢٣) المطمح: ص ١٥٩ – ١٦٠.
(١٢٤) م. ن: ص ١٦٠.
(١٢٥) سبقت ترجمته وهو أحد شعراء المنصور بن أبي عامر.
(١٢٦) النفح: ١: ٦٠١ وأنظر الذخيرة: ق٤ م١ ص ٦٨.
(١٢٧) أنظر النفح: ٣/ ٨٦.
(١٢٨) مستصرخ: مستغيث. الصحاح: صرخ المنون: المنية. الصحاح: منن.
(١٢٩) النهى: العقول. الصحاح: نهى. مذال: مهان، الإذالة: الإهانة. الصحاح: ذيل.
(١٣٠) غماء: الكربة. الصحاح. غمم، حائن. حان الرجل: هلك. الصحاح: حين. الدفين. المدفون. الصحاح: دفن.
(١٣١) لعاً: يقال للعاثر لعاً لك: دعاء له بأن ينتعش. الصحاح: لعا.
(١٣٢) جلّ: عظم، الجلى: الأمر العظيم. الصحاح: جلل.
(١٣٣) الحلة السيراء: ١/ ٢١٩.
(١٣٤) م. ن.
(١٣٥) قاسم بن محمد القرشي الشبانسي: شاعر أديب في الدولة العامرية كان في نفسه جليلاً روى عن وليد بن محمد الكاتب وابن شبلاق وغيرهما حكايات وأشعار وكان قد شهد عليه عند القضاء بما يوجب العمل فسجن (ت ٣٩٦هـ) أنظر: بغية الملتمس: ص ٤١٤.
(١٣٦) بغية الملتمس: ص ٤١٤.
(١٣٧) السنن: الطريقة. الصحاح: سنن. أقضية: أحكام. الصحاح. قضي.
(١٣٨) الحمى: ما يحمي ويدافع عنه. المنجد في اللغة: حمى.
(١٣٩) أبو مروان عبد الملك بن غصن: كان أحد الإعلام في الآداب والتاريخ والتأليف ونقم عليه المأمون بن ذي النون (ت ٤٦٧هـ) بسبب صحبته لرئيس بلده إبن عبيدة وبلغه أنه يقع فيه فنكبه شر نكبة وحبسه، سافر إلى المشرق وتأدب وحج ورجع وشعره كثير. أنظر: النفح: ٣/ ٣٦٣، ٤٢٤. والجذوة: ص ٣٧٨.
(١٤٠) إبن ذي النون: هو أبو الحسن يحيى المأمون من بني ذي النون ملوك طليطلة، وهو الذي عظم بين ملوك الطوائف سلطانه وكان بينه وبين الطاغية (اذفونش) مواقف مشهورة وغلب على قرطبة وملكها من إبن عباد المعتمد وقتل أبنه أبا عمر، وغلب على بلنسية أيضاً وأخذها من يد إبن أبي عامر (ت ٤٦٧هـ) أنظر: النفح: ٣/ ٤٤٠- ٤٤١، ٤٢٩.
(١٤١) إبن هود: هو سليمان بن محمد بن هود (المستعين بالله) وهو أول ملوك بني هود في سرقسطة (ت ٤٤٢هـ) أنظر الحلة السيراء: ٢: ٢٤٥ – ٢٤٦.
(١٤٢) الوجناء: الناقة الشديدة. الصحاح: وجن.
(١٤٣) الوزر الملجأ. الصحاح: وزر.
(١٤٤) يعدي: يعين المظلوم على من ظلمة. الصحاح: عدنى.
(١٤٥) الرقبى: المراقبة. الصحاح: رقب.
(١٤٦) حانيك: رحمتك. الصحاح: حنن.
(١٤٧) النفح: ٣/ ٣٦٣.
(١٤٨) إبن جهور: هو جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله.. أبو الحزم ولي الوزراة أيام بني عامر إلى أن انقرضت دولتهم، بايع هشام المعتمد مع أهل قرطبة ولما خلع هشام سنة ٤٢٢ هـ أستقل أبو الحزم بقرطبة وساسها أحن سياسة توفي سنة ٤٣٥هـ. أنظر: المطمح: ص ١٨٠. الحلة السيراء: ٢/ ٣٠ – ٣٤، الصلة: ١/ ١٣٠ رقم الترجمة ٣٠٠.

[149] الذخيرة: ق١ م١/ ٣٤٠ – ٣٤١.
[150] م. ن: ق١ م١/ ٣٥١ – ٣٥٣.
[151] أنى الشيء يأني: أي حان. الصحاح: أنا منصلت النصل: أصلت سيفه: أي جرده من غمده. الصحاح: صلت.
[152] ندب الميت: بكي عليه وعدد محاسنه. الصحاح: ندب.
[153] الشكل: المثل والجمع أشكال. الصحاح: شكل.
[154] نزعَ عن القوس: رمي عنها، نزع الليالي: رميها. الصحاح: نزع. قرطس: أصاب القرطاس، القرطاس: الفرض. المنجد:قرطس.
[155] القلي: البغض. الصحاح: قلا. ذحل. ثأر. طلب بذحله: أي بثاره. الصحاح: دحل.
[156] عقد مفصل: أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة. الصحاح: فصل. السمط الخيط مادام فيه الخرز. الصحاح. سمط.
[157] مستحكم: استحكم الأمر: صار محكماً متقناً. المنجد: حكم. مستحصد. حصد الحبل: فتل محكماً. المنجد: حصد.
[158] العلا: الرفعة والشرف. المنجد: علا.
[159] هدل الحمام: صوت، الهديل: صوت الحمام، الهدل، ما تهدل أي تدلي من الأغصان. المنجد: هدل.
[160] استن الطريق: وضح، مضى على وجهه. المنجد: سن. المدى: الغاية، المنتهى. تمطر: تمطر به فرسه: جرى يعدو بشدة كصوب المطر: المنجد: مطر. أمد: ألغاية ومنتهى الشيء. المنجد: أمد. الخصل: إصابة الفرض، ما يتقامر عليه. المنجد. خصل.
[161] ثوى: ثوى في المكان: أقام فيه. المنجد في اللغة: ثوى. صافناً: صفن الفرس: قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة. المنجد: صفن. الشكل: الشكال: حبل تشد به قوائم الدابة. المنجد: شكل.
[162] عذر: رفع عنه اللوم والذنب أو قبل عذره. المنجد: عذر.
[163] حرب الفجار: وقعت بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمات الحرم والأشهر الحرم فيها، وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحرب وكان عمره خمسة عشر عاماً، وكان يجهز النبل لعمومته، وقد انتصرت فيها قريش وكنانه على قيس عيلان. أنظر: الرحيق المختوم: صفي الرحمن المبارك فوري: ص ٥٥.
[164] يعقلني: يمنعني. المنجد: عقل.
[165] ناقضة: نقض البناء: هدمه. نقض الحبل: فله. المنجد: نقض.
[166] الحسل: فرخ الضب حين يخرج من بيضته. المحسول: المرذول. المنجد: حسل.
[167] الذخيرة: ق١ م١/ ٣٤٧ – ٣٤٩ وأنظر: قلائد العقبان: ١/ ٢٣٣ – ٢٣٤.
[168] النجم: النجم من النبات ما لم يكن على ساق: الصحاح: نجم.
[169] جفن: غمد السيف. الصحاح: جفن. الصارم: السيف القاطع. الصحاح: صرم. الذكر: سيف ذكر أي ذو ماء.. هي سيوف شفراتها حديد ذكر. الصحاح: ذكر.
[170] الذخيرة: ق٢ م١/ ٤١٩ – ٤٢٠.
[171] الذخيرة: ق٢ م١/ ٤٢٠.
[172] ورد صدر البيت في الحلة السيراء بالصورة الاتية: ((سهل على يديك الكريمة احرفاً واظنهُ الاصوب))
[173] الذخيرة: ق٢ م١/ ٤٢٢ – ٤٢٣.
[174] م. ن: ص ٤٢٤.
[175] أنظر الحلة السيراء: ٢/ ١٥١ – ١٥٢.
[176] أنظر الذخيرة: ق٢ م١/ ٤٢٤ – ٤٢٦.

(١٧٧) محمد بن عمار الأندلسي دراسة أدبية تاريخية: د. صلاح خالص: ص ١٥٩ – ١٦٠.
(١٧٨) أنظر الذخيرة: ق٢ م١/ ٤٢٩.
(١٧٩) قلائد العقيان: ٢/ ٢٨٦ – ٢٨٧ وأنظر: الذخيرة: ق٢ م١/ ٤٢٠ – ٤٢١، والحلة السيراء: ٢: ١٥٣.
(١٨٠) السجية: الطبيعة والخلق. المنجد: سجا. أسجح: أسجح الوالي: أحسن العفو. المنجد: سجح.
(١٨١) الخطة: الأمر. المنجد: خط. المزية: الفضيلة. المنجد: مزي.
(١٨٢) متصحح. صح الخبر. ثبت وطابق الواقع. المنجد: صح.
(١٨٣) صفاة: صخرة ملساء. الصحاح: صفا.
(١٨٤) أقال الله عثرتك: أنهضك من سقوطك، صفح عنك. المنجد: أقال.
(١٨٥) عف: كف. الصحاح: عفف. هبة رحمى. هب من نومه: استيقظ. الصحاح: هبب.
(١٨٦) أراد به الوزير الأجل أحمد بن محمد بن عبد العزيز وكان واحد وقته رفعة وجلالة وضد ابن عمار صيانة وأصالة فتولع بانتقاضه وهجائه، فدس له رجلاً يهودياً من أهل المشرق وأحله محل الراوية لأشعاره فقام بإيصال هجاء إبن عمار في المعتمد بن عباد إلى إبن عبد العزيز الذي أوصلها إلى المعتمد. أنظر: الحلة السيراء: ٢/ ١٥٥ – ١٥٨.
(١٨٧) لا در دره: أي لا كثر خيره. الصحاح: درر.
(١٨٨) فلان: كناية عن المعتمد بن عباد.
(١٨٩) نزح: بعد: نزحت الدار: بعدت. الصحاح: نزح.
(١٩٠) يهنيه: يسره. المنجد: هنأ. برح: برح به الأمر: أجهده، تباريح الشوق: توهجه. الصحاح: برح.
(١٩١) التميمة: عوذة تعلق على الإنسان. الصحاح: تمم. الحمام: قدر الموت. الصحاح: حمم. جلح. أنحسر، ذهب. المنجد:جلح.
(١٩٢) طنز: الطنز السخرية. الصحاح: طنز.
(١٩٣) الذخيرة: ق٢ م١: ٤٢٢.
(١٩٤) الطبرزين: الفأس من السلاح، الطبر (الكلمات فارسيتان). المنجد: طبر.
(١٩٥) أنظر الذخيرة: ق٢ م١/ ٤٢٩ – ٤٣٠.
(١٩٦) أنظر: النفح: ٢/ ٢٥٤ – ٢٦٢، البغية: ٤٦٤ رقم الترجمة ١٤٧١.
(١٩٧) أنظر الذخيرة: ق١ م٢/ ١٦٧ – ١٨٠، البغية: ص ٣٨٦، الصلة: ٢/ ٣٩٥.

المصادر والمراجع

١ -القرآن الكريم.
٢ -إبن زيدون، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، د.ت، سلسلة نوابغ الفكر العربي.
٣ -الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوك الخلافة، د. أحمد هيكل، دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة، ١٩٧١م.
٤ -بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأبي جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي المتوفي سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣هـ. قدم له وضبط شرحه، د. صلاح الدين الهواري، بيروت – المكتبة العصرية، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).
٥ -تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس، بيروت – دار الثقافة الطبعة الثانية – ١٩٦٩. المكتبة الأندلسية (٢).
٦ -تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، د. إحسان عباس، بيروت- مطبعة عيتاني الجديدة، الطبعة الأولى – ١٩٦٢، المكتبة الأندلسية (٣).

٧ -تاريخ الأدب العربي ، الأدب في المغرب والأندلس إلى أخر عصر ملوك الطوائف – الجزء الرابع د. عمر فروخ، بيروت – دار العلم للملايين، الطبعة الأولى – ١٩٨١م.
٨ -الحلة السيراء، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بإبن الأبار (٥٩٥ هـ - ٦٥٨هـ) تحقيق:د. حسين مؤنس، القاهرة – الشركة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى - ١٩٦٣م.
٩ -الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٢هـ) تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت – دار الثقافة، ١٩٧٥م.
١٠ - رايات المبرزين وغايات المميزين، لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي (٦١٠ – ٦٨٥هـ). تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دمشق - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولى – ١٩٨٧م.
١١ - الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية، للشيخ صفي الدين المباركفوري – الجامعة السلفية الهند. بيروت – دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية (١٣٩٦ هـ- ١٩٧٦م).
١٢ - الصحاح، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، اعتنى به خليل مأمون شيحا، بيروت – دار المعرفة، الطبعة الثانية (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م)
١٣ - الصلة، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (٤٩٤ – ٥٧٨هـ) عني بنشره عزت العطار الحسيني. القاهرة (١٣٧٤هـ(١٩٥٥م).
١٤ - فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د. حكمة علي الأوسي، بغداد – مطبعة سلمان الأعظمي، الطبعة الأولى – ١٩٧١م.
١٥ - في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م، مكتبة الدراسات الأدبية (٢٢).
١٦ - قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الاشبيلي الشهيربابن خاقان (٥٢٩هـ). تحقيق د. حسن يوسف خريوش. الأردن – مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).
١٧ - محمد بن عمار الأندلسي دراسة أدبية تاريخية، د. صلاح خالص، بغداد – مطبعة الهدى (١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م).
١٨ - مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عب الله القيسي الأشبيلي (المتوفي سنة ٥٢٩هـ- ١١٣٥م) تحقيق محمد علي شوابكه، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)
١٩ - المغرب في حلى المغرب، لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي (٦١٠-٦٨٥هـ) تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية – ١٩٦٤م. ذخائر العرب (١٠).
٢٠ - المنجد في اللغة، بيروت – دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية)، الطبعة العشرون.
٢١ - نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب. تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني تحقيق د. إحسان عباس، بيروت – دار صادر (١٣٨٨هـ - ١٩٦٩٨م).
٢٢ - يتمية الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري المتوفي سنة ٤٢٩هـ. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة – مطبعة السعادة، الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م.